# وما أبريء نفسي

اسم الكتاب: وما أبرِيء نفسي
اسم الكاتب: مريم عبدالحكيم
تدقيق لغوي: د. محمد النجار
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – 2021 م
رقم الإيداع: 2021 / 2174
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6852 – 31 – 0

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

# وما أبرىء نفسي

رواية

مريم عبدالحكيم

للنشر والتوزيع
Arabic Library

أشق الحروب حرب الإنسان مع نفسه.

د. مصطفى محمود

# إهداء

إلى أبي وأمي وأخويّ..
اللهم احفظهم لي واحفظني لهم.

إلى الأستاذ الدكتور/ صفوت محمد العالم أستاذ العلاقات العامة والإعلان بكلية الاعلام جامعة القاهرة.. تقف كلماتي حائرة أمام مساندتكم لأعمالي الأدبية السابقة ولولا ذلك الدعم ما خرج هذا العمل للقراء.

إلى الكابتن/ عبد العزيز عبد الشافي نجم الكرة المصرية والنادي الأهلي.. لنقل إنها محاولة بسيطة للشكر وللعرفان وأتمنى أن ينال العمل إعجابكم.

إلى الأستاذ الدكتور/ عادل فهمي والدكتور/ هشام فايد أساتذة الإذاعة والتلفزيون بكلية الاعلام جامعة القاهرة لدعمهم الذي أعجز عن وصفه.

إلى العميد/ محمد مرجان المدير التنفيذي للنادي الأهلي والمهندس خالد مرتجي/ عضو مجلس إدارة النادي الأهلي .. لم تنس الصحفية الصغيرة ترحيبكم بإتاحة شرف الحوار لها وسعة صدركم في الإجابة على جميع الأسئلة.

إلى الدكتورة/ آية محمد علي المدرس المساعد بكلية الاعلام جامعة القاهرة لتفانيها في نقل العلم لطلابها ومساندتهم.

إلى رامي رزق الله – محمد عبد الباري – حسن إبراهيم لتقديم النصح والمساندة.

إلى دفعتي بكلية الاعلام جامعة القاهرة (دفعة 2018) تقبلوا إهدائي الثالث وأتمنى ألا يكون الأخير.

إلى إعلامي مصر القادم "خالد خليل" امتنانًا لمساندة ودعم العمل السابق بقوة.

إلى القائمين على جروب (مش لوحدك للمشاركة والدعم النفسي) لدورهم الجلل في تقديم المساندة النفسية وهي الأصعب!

إلى كل دور نشر تعسفت معي.. الكتاب الثالث أهووو!

*ضحكات شريرة متقطعة*.

## إهداء خاص..

إلى الفنان الشاب / هيثم أحمد زكي

رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

أحاول دون جدوى..

الألم يكاد يفتك برأسي والعجز يحاصرني.

البكاء لم يعد يجدي والمزيد من التوسل لن يزدني إلا ألمًا!

يرتدي ملابسه بسرعة لم أعهدها.. يهم بالخروج.

لا أشعر سوى باستجدائي له من جديد.

الرعشة ذاتها تفترسني وتأبى شفتاي سوى المشاركة بتلعثم حاد.. مكتفية بذكر اسمه علّه يكون دليلًا.!

تكاد عيناه تخرجان هلعًا وكلتا يديه تتمكنان مني..

أتشبث قدر ما استطعت!

أضمّه بكل ما ملكت من وهن وأغمض عيناي راغبة في الفرار.

# "ديسقورص"

"ديسقورص" يناديني.

هذا الملعون!

أخبرته قبلًا برفضي القاطع.. فليتركني معها قليلًا.

قرابة الستة أشهر ولم نلتق.

وها نحن نفعلها من جديد في الخفاء ككل مرة!

أقترح أن أقوم بإيصالها.. أستعد جيدًا بملابسي السوداء التي تتفنن في إثبات ولائها لي.

متى كبرت هذه الفتاة؟!

هل كانت تعي "نور" ما الذي تلَّفظ به والدها أمامي؟؟

تسألني من جديد عن سر شرودي الدائم.. أتكون ابتسامتي المعهودة والتحجج بضغط العمل وكأنّ الطفلة لم تكبر بعد!

أعود لأسألها عن أخبارها وزيارتي لجامعتها قريبًا لتذكرني أنها لم تلتحق بعد بالجامعة.

أحاول إقناعها أني أرغب فقط في تحفيزها لبذل المزيد من الجهد في الدراسة..

-"شريف" أنت المرة دي تعبان بجد!

قبلة حانية على خديها تنهي الحوار وسؤال إجابته محسومة قبل أن يُطرح عن "طارق" فهو دائمًا بخير أما أنا فسأكون بخير فقط لو التقينا.

يرددها كثيرًا وقد حان دوري.

تعاقده مع "نور" لا يعني سوى انشغاله الدائم.. كانت هذه نصيحة "وليد" المخلصة لها.

ماذا عن نصيحتي أنا؟!

كثيرًا ما تثير علاقات "ديسقورص" امتعاضي!

كيف لي أن أخبرها؟

وحده المال قد يحدث الفارق.

تلك الليلة..

انتصف ليل القاهرة معلنًا قرب ظهوري.

تأخرها أثار قلقي! "وليد" يحاول تهدئتي عبثًا.

المفاجآت من ذلك النوع تثير حفيظتي.

يبادر "وليد" بسؤال صديقاتها عن سر اختفائها.. لغته الانجليزية تجر على قلبي الكثير!

لم تشفع إجادته لها سلب الإجابة..

الروسية لغتهن الأم ووحده "ديسقورص" القادر على فك طلاسمها.

المزيد من التأخر يُعقد الموقف والمكالمات التي تنّهل على "وليد" جعلت من ظهوري الفوري أمرًا حتميًا.

قدوم "ديسقورص" في هذه اللحظة كان النجاة!

العجيب في الأمر كان هدوء "وليد" وجملته التي لم أفهم ماذا يرنو به من خلالها!

-"شريف" هي أول مرة!

أكان يعني ما قام به "ديسقورص" أم الظهور ذاته؟

يمد يده معتذرًا وقد كانت بضع ثوان هي المدة التي استغرقها لإعداد هديته.

السيجارة التي يجيد تحضيرها أكثر من أي شيء كانت بالفعل ما أحتاجه!

تدخل ملهمتي المنتظرة.. يتغامزن حولها ويبادلها حديث بالروسي من جديد ويلتفت إلينا..

-شوفوا وشها نور ازاي!

لا مفّر من الظهور.

للمرة الأولى أتعجل لحظة النهاية..

أكان "ديسقورص" السبب أم ذكرى الرحيل التي اعتصرت قلبي هي السر؟!

# React

الجو يشتد برودة.

المكوث في السيارة مع هذه النافذة المفتوحة ما هو إلا جنون لا محالة!

مكالمات لا تتوقف..

لماذا قام ذلك العجوز بزجري حينما رآني أبكي!

ألم يكن من الأجدر به أن يسألني بدلًا من الامتعاض الذي كسى ملامح وجهه؟

كدتُ ألقي بالهاتف اللعين لولا ذلك الخوف الذي اعتراني وحال دون قيامي بذلك..

تفاعلت "داليا عبد الله" على منشورك.

أكاد أجزم ما الذي كتبته!

ما الجديد؟ ككل مرة..

(أعلم جيدًا أنك مقاتل وستتحمل)!

(هذا هو "سليمان" الذي أعرفه)!

لم يعد الطالب ذاته، حاولي أن تصدقي!

راهنتُ نفسي أن تعليقها لن يختلف كثيرًا.. ربما تذكرني من جديد بصعوبات المهنة وضرورة المثابرة والعديد من الضرورات لا علم لي بمن ابتدعها!

لماذا لا تتسنى لي فرصة مقابلته وتفنيد ما جاء به؟

لعبة ساذجة لا تحتمل الخسارة..

مجرد الرهان على ما قالته أستاذتي الجامعية السابقة بدلًا من الاستسلام لهذا الجو الساخط.

-ربنا يعوض صبرك يا حبيبي.

قرأتُ ما كتبته وأدركتُ حينها أن العجوز الذي امتعض في وجهي كان على حق!

# اللّه أكبر

-بيقولوا إنك شاطر.

هذه العبارة أعلمها جيدًا.. فما إن يتبعها دعاء متكلف مصحوب بابتسامة أكثر تكلفًا (ربنا يوفقك).

هذه المرة آثرتُ الصمت.

ربما لأني سئمتُ من تكرارها..

-طب إيه متوضي؟!

لم ينتظر ردًا.

أتكون الصلاة في هذه الغرفة الغريبة هي الطقس الخاص الذي يقوم به قبيل الظهور!

لماذا لم يتأكد رجال الأمن من عدم وجود كاميرا بحوزتي؟

المزيد والمزيد من الأسئلة...

الله أكبر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انتهينا لتونا من أداء الصلاة..خرج من الغرفة دون حتى أن يتحدث!

ما الذي يود قوله بتلك التصرفات؟ ومتى يعود ولماذا تركني وأين ذهب ..؟

صوت دق منتظم على الأرض انتشلني من دوامة الأسئلة..

ثلاث ساعات على الأقل هي المدة التي استغرقتها في تلطيخ وجهها بتلك المساحيق.

حاورتُ واحدة منهن قبلًا بتكليف من "فتحي".. يلقبونه بالأستاذ وأمنح ذلك المعتوه اللقب الخاص الذي يليق به.

-هو المستر موجود؟

تلّفظتها بلكنة إنجليزية مستفزة..

-أخيرًا شفتك.

قالها بحرارة لا تقل عن القبلات التي تركها بنهم على خديها ولولا وجودي لربما آلت إلى مكان أخر.

لم يبدل حتى جلباب الصلاة.. أجلسها بجانبه!

يمد يده بكل وداعة ولازالت هالة النور محيطة بوجهه قائلاً:

-حرمًا ان شاء الله. عرفت بقى أنا عايزك في ايه؟!

# زنزانة 54

لم أجد بدًا من الخروج.

كدتُ أحطم أحد الكاميرات التي صادفتها أمامي حالت معرفتي السابقة بصاحبها دون ذلك!

ظللتُ أرقبهم من بعيد.

تهزني الصيحات من حولي كأنها تستحثني على المشاركة من جديد وضرب قوانين اللعبة عرض الحائط..

لعلّها المرة الأولى التي فكرتُ فيها جديًا بالتغيير!

لم أعد معهم في الحافلة.. رغم تحذيرات "أيمن" السابقة بالغرامات التي قد يوقعها عليّ، يُذكرني باللائحة وأذكره بما قد يقوم به والدي مع النادي خلال ثوان من استدعائي له.

كلانا مثير للشفقة.

صارعني الأرق تلك الليلة ويؤسفني القول أنه انتصر.. ظللتُ في الفراش حتى اليوم التالي أفكر فيما قمت به.

أتجاهل مكالمات "أيمن" ورسائله وتهديداته الساذجة المضحكة وأسارع بارتداء ملابسي متوجهًا إليه وإلى لائحته.

# Intérim

-عرفت بقى أنا عايزك في ايه؟!

ليته لم يخبرني!

أتعجب من قدرته على تحويل الأمور لهذه الدرجة من البساطة!

ترددتُ قبل أن أطرح عليه السؤال الأهم.. ليكتفي بابتسامته القاتلة التي حالت دون تفكيري في أي سؤال أخر..

هذه الثقة التي رأيتها في عيونه تزيد من حيرتي.

ألم يفكر حتى في احتمالية رفضي!

حدثني عن دافعه.. استمر في تكرار الكلمة دون وعي إلى أن تملّكني الخوف.

يا له من أمر مضحك.. إلى الآن أشعر بتلك الرجفة.. لم تبرحني بعد!

يبدو أنها لم تكتف بما نالته مني خلال الدقائق التي قضيناها معًا..

كيف انتبهتُ الآن فقط أننا لم نستغرق بالفعل سوى بضع دقائق بعد انتهائنا من الصلاة وبعد تدليله لتلك الفتاة!

يحاول الاتصال..

بهذه السرعة!! أخشى حتى من القيام بمحاولة للتنبؤ.

-قولي يا "سليمان" هتكون جاهز امتى؟

-.....

# غير متاح حاليًا

وحده "سليمان" القادر على إغاثتي!

أحتاج إليه بالفعل.

أمي تحاول الدخول.. صوت طرقها يثير اشئمزازي.

لم أرها منذ عودتي من ألمانيا.

قارنتُ اعتذارها بمشاعر "سليمان" الصادقة ووجدتُ كفته هي الأرجح.. لو أذنتُ لها بالدخول سأسألها عن والدي وعن سر قبولها لهذا الوضع.

ستسخر مني دون شك!

ستنعتني بالمجنون وإن حالت قدسية مهنتها دون ذلك!

كلانا له جمهوره الخاص.

لم يكن المال يومًا مُرادها.. حاولتُ مرارًا ردعها.. بكل ما أوتيت من قوة.

يأتي أبى ليتهمني بالمبالغة.. لا يجيد سوى تلك الاتهامات!

تهم بفتح الباب.. أحاول التظاهر بالنوم لأجد نفسي ولأول مرة.. أرتمي في حضنها باكيًا.

# وما أبرئ نفسي!

لازال بالداخل صوت أنينه يكاد يقضي عليّ!

تتعجب "هايدي" من هذا الألم الذي لم يتوقف بعد.. أكتفي بابتسامة صامتة وأستجمع قواي كي أذهب إليه.

أشعر بالرهبة ذاتها التي تُصعب من مهمتي.. أفكر في اللجوء لأحد أصدقائه.

صوت الجرس الذي استدعى به "هايدي" زاد من ارتباكي..

عزمتُ أمري وطرقتُ الباب.

استعددتُ جيدًا واجتهدتُ في تحضير الكلمات.. سأبدأ بالشرف العظيم الذي أسعدنا القدر بالحصول عليه وأنتقل للشجار الذي نشب بين ملائكة الرحمة وحقدهن على "هايدي" لاستئثارها بهذه الفرصة.

ولأستغل المناسبة بشرف أخر بالتتلمذ على يد والدته في عامي الأول بالجامعة وإن فضلتُ تأجيل هذه النقطة.. بدا واضحًا تأخر حالته بعد زيارتها له.

لا مانع إذن من إطلاق بعض الدعابات والسخرية اللاذعة من "هايدي" وزميلاتها من جديد آملاً أن تُتاح لي الفرصة بعدها لمصارحته بالشكوك التي تراودني.

سيكون من الجيد استخدام هذا المصطلح!

وإن كنتُ على يقين مما أثبتته نتيجة الفحص الأخيرة.. وإن كان الخوف من آثار تعلقه بأمل زائف يُحتم عليّ إخباره من الآن.. وإن كان صوته الذي أتاني مصحوبًا بتلك الحشرجة القاسية دفعني للخروج بأسرع ما لدي متحججًا بالرد على الهاتف ومؤجلًا المواجهة بيننا حتى إشعار أخر.

# Tabernac

الألم يكاد يفتك بي.

الغريب هذا الصداع الذي أصابني به الطبيب المستفز وهو يحاول تهدئتي..

لم يمَّلَ من تكرار تمنياته السخيفة بالشفاء العاجل!

الصور تتوالى أمامي كنصل سكين حاد يتلذذ بتعذيبي.. أحاول النهوض وأتذكر تحذيراته والتعليمات الصارمة التي صبّها على رأسي ظنًا من هذا الأبله أني سألتزم بها.

يبدو أنه لم ينتبه للواقعة الشهيرة التي طرحتُ فيها الحكم أرضًا وحاولوا تهدئتي عبثًا وإرغامي على الخروج.

لم أستسلم حينها!

نظرتُ لهم كالمجانين وهم يطالبوني بالرحيل زاعمين أنه لا مفر من تنفيذ القرار الذي أطلقه قبل أن يقع.

مساكين!

# وما أبرئ نفسي!

هل تعمّدوا الجلوس بهذا الشكل!

إلى الآن لا أملك الإجابة على هذا السؤال.

فقط تطاردني مرارته في حلقي وتعصف بي كما يحلو لها..

استأذنتُ في الدخول كعادتي.. لم يستوقفني سوى زجره الغير مبرر لي!

لاحظ توتري.. هدأ للحظات بدا فيها كتلميذ يستعد لإلقاء الدرس على مرأى من أستاذه الصارم.

ما هذا التشبيه المضحك!

أي تلميذ هذا وقد تفّنن يومها في صفعي بشتى الأساليب..

بداية نموذجية بسؤالي عن خططي القادمة. كان لابد من انحنائي له تعبيرًا عن إعجابي الشديد بمنهجيته هذه.

انطلقتُ حينها مسترسلًا عن كل ما أفكر فيه.

لم يعد يرهبني التفاف المديرين حولي فلا شك أنه اختبار سيعقبه تكليفي بمنصب جديد.

تأكد حينها من بلاهتي وحانت اللحظة الثانية في خطته.. سؤال آخر عن اسم الشركة ولماذا تتكون من هذه الأحرف!

متى تنتهي تلك اللعبة؟

لم أكن واثقًا من هذه المعلومة فاكتفيتُ بإجابة منمقة اجتهدتُ فيها قدر ما استطعت وإن لم تخل من صدقي عن سماعي قبلًا للسبب رغم غيابه عني الآن.

تكلّف عناء الشرح لي.. يعيد الإجابة مرة أخرى على مسامعي كأنه يتأكد من استيعابي!

أصبحتُ على يقين أن المنصب الذي ينتظرني يستحق.

جاء سؤاله الثالث عن إيماني بقوة أي من هذه الأحرف لإنجاح الكيان؟

اخترتُ الأخير .. حرف ال**"D"**

## Discipline

لم أكتف بردي الحاسم بل بادرتُ بإقناعه أن هذا هو السلاح الذي يكفل لنا الوصول لباقي الأحرف وإن سبقه الكفاءة والاجتهاد.

ثوان من الصمت أعقبت إجابتي نظر فيها إلى اللاب توب أمامه.. يقوم بفتح ملف جديد.

أين ذهب الملف القديم الذي استرقتُ النظر له فور دخولي وتنفستُ الصعداء بعد تأكدي أنه يحوي إحصاءاتنا جميعًا خلال الأشهر الأخيرة.

اتسع الفارق بيني وبينهم مؤخرًا ولم أتنازل عن الصدارة.. لابد أنها اللحظة الحاسمة.

سيقوم بالثناء على أدائي ثم تكليفي.

فتح الملف الجديد.. اعتدل في جلسته.. اتهام تُثبته الأدلة عن تلاعبي في الآونة الاخيرة أعقبه سؤال عن إمكانية الثقة في بعد الآن.

تراجع عن هذا السؤال.. يبدو أنه تدارك الأمر وطلب مني تفسير.

ليته لم يفعل..

لم يكن الصمت أحد الخيارات المطروحة في ذلك اللقاء.

انتهى من الاستماع لحديثي الواهن وترك لثلاثتهم الكلمة.. لكلٍ دوره ولي ألمي الخاص.. أكتفي بهز رأسي أمامهم.

أخبروني بالعديد من القرارات التي سيتم اتخاذها عقب الاجتماع لم أنتبه لإحداها!

تلك المحاكمة تطاردني أينما ذهبت.

بدأت باستدعاء "فاطمة" لي في الحادية عشر والربع.. لا. لم يكن العقرب قد أشار للخامسة عشر بعد.. أخبرتني عن رغبة "ميادة" في رؤيتي.

لم تكن "ميادة" وحدها وإن كان ما حدث هو الذي عجّل من اتصالي به.

أتذكر كلمته التي لم يمّل من تكرارها (الغل) وصورة ضحيته القادمة أمامي.. أستاذي السابق.

-"سليمان" هيسد معاك من دلوقتي لو تحب.

# البداية

رسالة "ديسقورص" كادت لتقضي عليّ.

أفكر في اللجوء لـ"طارق".

أعلم أنه سيرد على هذا الرقم ولابد من محادثته..

"طارق" لا يجيب.

الدقائق تمر بسرعة لا أقدر على استيعابها!

يبدو أني نسيت مفاتيح السيارة من فرط اللهفة.

سائق التاكسي ينظر إليّ في دهشة..

-مش الأستاذة "نور" برضو؟ يا ألف نهار أبيض .. نتصور بقى.

أرجوه أن يسرع ويصمم على إخراج هاتفه..

يهم بالتحرك بعد معاناة مستفسرًا عن وجهتي.

-مش عارفة!

"طارق" يحاول الاتصال. أخيرًا.. في صوته النجاة!

# غير متاح حاليًا

ما الذي اقترفته لتوي؟

لم أنتبه إلا على صوت صراخه!

هل فارق الحياة!؟

أكانت انتفاضتهم فور رؤيتنا ناتجة عن خطورة حالته؟! تساورني الشكوك أن خوفهم عليه هو ما دفعهم لتلك اللهفة.

كانت أول الواصلين..

انقضت عليّ وكأنها تسعى للانتقام.. حاول رفيقه تهدئتها وإن استسلمت أنا تمامًا.

حذرتني من قدوم من يدعو "طارق" يبدو لي أنه شقيقها.

رغم طلب الممرضات المستمر لها بالهدوء.. لم تعبأ لواحدة منهن واستمر صراخها..

يتدخل رفيقه من جديد.

يهمس في أذنيها محذرًا! لا أعلم ما الذي يقصده وإن توقعتُ من إجابتها الصارمة ونظراتها الحادة التي أسكتته كليًا!

# وما أبرئ نفسي!

كعادتي أنتظر منها القرار.

استمر صمتها مما أثار تساؤلاتي..

تعجبتُ من هذا السكون الذي أحاط بنا.

ماذا لو كانت حالته خطيرة تستلزم استدعاء أحدهم!

تخرج هاتفها بسرعة جنونية لم تزدني إلا حيرة.. تفقد أعصابها تدريجيًا لتصرخ فجأة:

-أنا عايزة "يحيى" دلوقتي حالًا.

تعتريني الرغبة ذاتها.. أودُ إخبار الجميع ما الذي تخفيه ملامحها الطفولية وعينيها الزرقاوتين.

لم لا يشاركني أحدهم سر استخدامها لهم!؟

قدوم "يحيى" ساهم في هدوئها بعض الشيء..

بادر بسؤالها عن الحالة.. طمأنته بدوري ليسارع بشكري بأسلوب يجيد استخدامه:

-اتفضل يا دكتور.. أنا والدكتورة "إيمان" هنتصرف.

استأذنتُ في الخروج.

أعلم جيدًا ما الذي دار بينهما..

الحنكة التي يتمتع بها مطلوبة في هذا التوقيت الحرج.

لم تكتف بما جنته في المرة السابقة!

سيهدأ "يحي" للحظات يغمض فيها عينيه ويعتمد على سياسته المعهودة..

منذ قدومي ومحاولاتي في التودد له لا تتوقف.. على الرغم من تحذيرات البعض!

أطيل النظر إلى اللافتة أمامي "د\إيمان فاضل - مدير المستشفى" ليفاجأني صوت واهن قادم من الخلف:

-أنا "أحمد حسان" يا دكتور مش فاكرني؟!

# بروتس

-هنعمل إيه؟ إحنا لازم نتصرف حالًا.. مفيش وقت!

لا يعلم "وليد" أنّ طريقته هذه تزيد الموقف تعقيدًا.. لو منحني بعض الدقائق ستكون كافية لاتخاذ القرار.

عقود "نور" لا ينقصها سوى التوقيع بأناملها الجميلتين.. تلك التي كاد هذا اللاعب أن يلتهمها بعيونه..

لم يخف عليّ ما اعتراه فور رؤيتها!

أيام تفصلنا عن المهرجان وهو الأهم.

خسائر كابدة لن نقدر على تحملها..

-طب أنت عملت إيه مع الصحفيين؟

لو يستخدم "وليد" ذكاءه فقط في العمليات الحسابية لأراحني بالفعل.. يبدو أنه لم يلحظ بعد أنى لم أجبه على أي من أسئلته السابقة ولن أفعل!

-الدكتورة المديرة دي ممكن تيجي في أي وقت.

كطفل عقد العزم على أن يقتله أبواه ليتخلصا من إزعاجه.. هذا هو "وليد".. وإن كان على حق! لا سيما في حضور تلك الشيطانة التي قد تفاجئنا بين لحظة وأخرى ولم نقرر إلى الآن.

لم أتمالك نفسي من الإعجاب بطريقتها..

يشكلان ثنائيًا رائعًا هي وهذا الطبيب الذي اصطحبته وإن لم يتحدث حتى! ثنائي نموذجي كفل لهما إنجاح هذه المستشفى وفرعها الأخر في التجمع.

أدركت بذكاء مخاوفي من هذه النقطة..

تدخل مساعدها دون أن يدرك إحراجه لنا.. لتتدارك مسرعة أنه فقط يحاول طمأنتنا..

# Mérite

سألتني "نور" عن حالته لم أدر بم أجبها!

أربكتني دموعها.. لم أجد بدًا من زجرها كي تمنحني بعضًا من الهدوء يكفل لي القيادة بسلام.

وصلنا أخيرًا..

أنّى لتلك الصغيرة أن تصعد بهذه الجرأة؟

تسمرتُ لثوان أمام الباب إلى أن دلفت بمعجزة.

عيون موظفي الاستقبال تطاردنا.. ينتظرون مني اسم المريض.

أخاف من التفوه به.. ماذا لو أخبروني بفاجعة توقعتها فور تلقي المكالمة..

أكنتُ قاسيًا إلى هذا الحد؟

ماذا لو كان مخمورًا؟

من منا يستحق هذه النهاية؟؟

أجبتهم بوهن لم يكن من المفترض أن أظهره:

-هي كانت حادثة عربية و"شريف" كان..

متى كان التلّفظ باسمه صعب لهذه الدرجة؟

انتشلني حضور "نور" المفاجئ من تلك الدوامة.

رأيتُ علامات الارتياح على وجهها.. اطمأنت لحضوري.. ماذا عني!

لم كان الثبات حكرًا عليّ في هذا المشهد السخيف؟

ابنتي تبدأ في الصراخ..

-أنا عايزة أطمن على "شريف".

أودُ مصارحتها أنّ هذا أشد ما أحتاجه..

الصحفيون بدأوا في التوافد.. بهذه السرعة!

يؤسفني القول أنّ حضور "ديسقورص" المقيت كان الوسيلة الأمثل للهرب من هذا الجمع.

ابتعدنا بخطوات سريعة.. صوت "ديسقورص" يصاحبنا وهو يحاول ردعهم.

خمسة أعوام! لم يكن لديّ خيار آخر..

ظنني أهدده في البداية.. آلت الأمور إلى أسوأ مما توقعنا.

سقط أبي أرضًا. سرعان ما لحق بأمي ليتركني في مواجهته..

أذكره بتوسلاتي.. لا أجد بدًا من صفعه علّ هذا يشفي غليلي..

كان بإمكاني مسامحته.. كوني في حاجة إليه.. لولا ما أعقبه!

أعلم أن تدخلات "وليد" هي السبب ولكن..

فاجأني صوت "نور" : أنا آسفة.. وحياة بنتك سامحني.

وكأنهم عزموا على تصعيب مهمتي.

# ليست قصته..

هناك ما يحيرني في ذلك الرجل.. لماذا يبدو دائمًا بهذا الوهن رغم امتثاله للشفاء!

-فاكرك طبعًا. عامل إيه يا كابتن؟

-كابتن إيه بقي؟ هو "شريف" حصله إيه؟

- شريف" مين؟ "شريف الجوهري"! هو أنت .. ؟

أدركتُ الآن ما الذي كانت تعنيه تلك الشيطانة بحديثها مع "يحيى" عن الصفقة المزدوجة!

دخول "هايدي" التي انتهزت الفرصة لتسلم عليه بحرارة غير مناسبة تمامًا أثار حنقي مما دفعني لزجرها في سابقة قد تكون الأولى.

همسها المستمر مع زميلاتها لم يخف عني واستنكارهن لهذا القناع الذي أرتديه رغمًا عني وهذه الملابس غير الملائمة لم يكن يومًا غريبًا عليّ.

ردت ببراءة تجيد استخدامها مع أهل المرضى جيدًا أو مع من يروق لها:

-أنا بس حبيت أبلغ الكابتن إن سيادة اللواء وصل.

وكأنها صفعته!

هل يخشى مواجهة والده؟ مع أن الإجابة واضحة.. فقط والده في يديه الخلاص.

حاولتُ تهدئة الأمور بعد خروج "هايدي" :!

-مكانش لازم يتعب نفسه.

هذه المرة رأيتُ في عينيه ما يفوق أضعاف نظراته السابقة فور إقرار الاستشاري الألماني باستحالة عودته للملاعب مرة أخرى.

أعلم مسبقًا أن محاولاتي في التخفيف عنه لن تجدي.. حتى لو أخبرته أن "شريف" بالفعل في حالة مستقرة للغاية فمن المؤكد أن ما يضمه بين أضلعه سيقف لمحاولاتي بالمرصاد.

لا أدري لماذا تذكرتُ الآن العبارة التي أخبرتني بها أمي في أول يوم لي بالجامعة (الكل حكيم ما دامت القصة ليست قصته)!

# غير متاح حاليًا..

- طارق" هات مصحف عشان أحلف.. أنا خلاص مش مكملة.

حذرتها من اتخاذ قرار انفعالي لا أنكر أنه أطربنى فور سماعه ولكنها لم تستمع إلىّ.. يبدو لي أنها لن تتراجع.

-استني بس يا "نور".

لم تهملني.. أمسكت هاتفها وكادت تحطمه بعصبية لم تزد الموقف إلا صعوبة.

-نتطمن الأول عليه وبعدين نتكلم.

-يا "طارق" افهم أنا مكسوفة حتى أدعي ربنا..

# وما أبرئ نفسي!

ألم خفيف في رأسي.. الأحداث تلاحقت بسرعة.

نظرات الممرضة تطاردني بفرح حقيقي لم تبد أي محاولة لإخفائه!

هذا الصوت لابد أنه "ديسقورص" يستأذن للدخول فتلك هي طريقته.

-الكابتن حلف يجي يطمن بنفسه!

"نور" تصرخ وكأن الفرصة قد حانت لها للثأر.. أحاول منعها!

على النقيض ترحب بقدومه "نور" الأخرى.. لعل الحب الجنوني لكرة القدم هو الاختلاف الأكبر بين شقيقتي وابنته.

دخول هذا اللاعب وإن أراد الاعتذار أزعجني.. لا يهمني ما بدر منه.. فلو كان الأمر بيدي لشكرته بالفعل.

انقضت مدة طويلة وأعتقد أن الفرصة الآن سانحة.

# وما أبرئ نفسي!

ألم خفيف في رأسي.. الأحداث تلاحقت بسرعة.

نظرات الممرضة تطارده بفرح حقيقي لم تبد أي محاولة لإخفائه!

هذا الصوت لابد أنه "ديسقورص" يستأذن للدخول فتلك هي طريقته.

-الكابتن حلف يجي يطمن بنفسه!

"نور" تصرخ وكأن الفرصة قد حانت لها للثأر.. أمنعها بعنف.

على النقيض ترحب بقدومه "نور" الأخرى.. لعل الحب الجنوني لكرة القدم هو الاختلاف الأكبر بين شقيقتي وابنتي.

دخول هذا اللاعب وإن أراد الاعتذار أزعجني.. لا يهمني ما بدر منه.. فلو كان الأمر بيدي لشكرته بالفعل.

انقضت مدة طويلة وأعتقد أن الفرصة الآن سانحة.

# بروتس..

لا وقت لمهاترات "وليد" الغبية.

كان جليًا تأثر "شريف" بلقاء هذا المتعالي.

تعمدتُ استفزازه.. إخباره أن ابنته تزورنا بين الحين والآخر سيثير حفيظته بغير شك.

لم يرد وكأنه في واد آخر!

-نستنى الأيام اللي جاية نشوف هيزوره تاني ولا لا.

من النادر أن أقتنع بما يقوله "وليد" وإن بدا محقًا هذه المرة.. لننتظر ونرى ما الذي تحمله الفترة التي سنقضيها هنا حسب اتفاقنا مع الدكتورة "إيمان.".

نبهتني واحدة من الممرضات أن التدخين ممنوع في أورقة المستشفى.

-طب أنا هروح للصحفيين عشان بقالهم كتير.

أذكره بتعليمات الدكتورة "إيمان" بحذافيرها فلسنا في حاجة إلى خطأ أخر يهددنا.. يكفي ظهور "طارق" وما سيعقبه.

نظرات الكراهية التي رمقني بها أثناء مغادرته هي التي طمأنتني. "شريف" مازال بخير إذًا، خسارة "نور" في هذا التوقيت الحرج ستكلفنا الكثير وإن كانت ورقة "شريف" هي الرابحة دومًا.

سأتخطى غباء "وليد" إن فكرت في سؤاله الآن عما دار بينه وبين أخيه المتعجرف!

هل انفعل "شريف" ؟ أتمنى ذلك.

أن تعود العلاقة بينهما كما كانت في السابق هي فقط ما نحتاجه..

أسارع بإخراج هاتفي.. رقم قياسي جديد! آلاف التعليقات من هؤلاء المجانين بدعواتهم تلك وكأنه واحد منهم.

ياللحمقى!

لا مفر من دخولي فالانتظار هنا بات خانقًا.

- "شريف" رد على جمهورك بقى يا نجم.

# زنزانة 54

-بابا احنا مش هنتحرك ؟

ربما كانت المرة الرابعة التي تسألني فيها هذا السؤال.. لا أعلم إن كان بإمكاني القيادة بعد كل ما حدث.

جملة هذا الملعون عن زيارات ابنتي المتكررة هي ما كان ينقصني.. لا داعي لإحراجها فالإجابة واضحة.

كثيرًا ما تمنيتُ بدوري القيام بذلك.

في كل مرة كان القدر يتدخل بعناية وكأن مشيئة الله لم تحن بعد.. وكأن لقصتنا فصول أخرى لم تُروى.

هل كانت "نور" جادة فيما قالت؟ عقلي يرفض الإذعان لذلك ! ربما لأن حديث "شريف" لا زال يؤلمني.

لم تغيره السنوات التي مضت.. فطفل أمي المدلل كما هو!

-السجاير بتضايقني يا بابا.

عبرت عن رأيها بحدة أضحكتني..

-يعني لما كنتي بتروحي لـ"شريف" مكانش بيدخن؟

لم ترد.

كدتُ أقص عليها من جديد أن "شريف" هو من قام باختيار اسمها.. يالسعادته يوم ولادتها وإصراره على هذا الاسم مجاملةً لشقيقتنا الصغرى.

سألتني إن كنت أفكر في الصعود له مرة أخرى ومحاولة إثنائه عن رأيه.. يبدو لي أن هذا هو تفسيرها الوحيد لجلوسنا في السيارة منذ أكثر من ساعة يحاصرنا الصمت وحده لا يزاحمه أحد.

أخبرتها بهدوء عن عدم جدوى ذلك مذكرًا إياها بسر مهنتنا الذي ورثته عن أبي رحمه الله:

(لما القاضي ميسمعكش من أول مرة.. هتبتدوا سوا لعبة الورق)!

أردفت ببساطة:

-هو حر، زي ما "نور" حرة واللي حصل انهاردة خلاها تراجع نفسها.

ليت الأمور بهذه البساطة التي ظنت بها أنها خففت عني.

# وكذلك الأشخاص!

سمحت لي بالدخول على مضض..

لم تتغير مشاعرها تجاهي، لم أجد سوى مدح طاقم التمريض كبداية للفت انتباهها وربما طمأنتها عليه بدلاً من ملامح القلق التي تنهش عينيها.

لم تُعقب!

ها قد مضى أسبوع ولا زالت هنا لم تغادر غرفته.. تصغره بعامين كما أخبرني "ديسقورص" أما شقيقهم الأكبر فلم أره منذ يوم الحادث.

استأذنتُ في الخروج على أن أعود حينما يستيقظ "شريف" لمعرفة تطورات حالته.

تدخلت بحزم:

-مفيش داعي يا كابتن. أنت عارف إنه كويس من أول يوم فكفاية.

كنتُ سأعتذر وأنسحب بهدوء لولا هذه الجملة التي استفزتني.. لم أشعر إلا بصراخي في وجهها.

استيقظ "شريف" مفزوعًا من صوت احتجاجي.. اقتحام "ديسقورص" المفاجئ للغرفة لم يمنحني أي فرصة للتوضيح.

-خير يا جماعة.. ده فيه صحفيين كتير برة بيحاولوا يدخلوا وأنا اللي مانعهم.

لم أتحمل ما تعنيه جملتها عن حضوري شبه اليومي إلى هنا. الفضل لمجيء والدي وليس لاستقرار حالة أخيها والجميع يدرك ذلك.

يسألنا "شريف" في فضول حقيقي عن سبب ما حدث.. ترجوه أن يهدأ كي لا تتأخر حالته، تخبره بخطورة الانفعال وتخبرني عيناها في الوقت ذاته أني لم أكن محظوظًا بالقدر الكافي.

# وكذلك الأشخاص!

زياراته لم تنقطع خلال الفترة الماضية..

ذهبتُ لرؤية المريض في الغرفة المجاورة ليأتيني صوته قبل أن أغلق الباب وقد بدا مهذبًا بعض الشيء مما أدهشني للغاية.

استمرت محاولاتي البائسة في التسكع مع المرضى وأنا أنتظر خروجه بلهفة حقيقية.

لا أعتقد أني سأكون في حاجة للبحث عن كلمات مناسبة هذه المرة..

-كنت عارف إنك مش زي الباقيين.

-إيه الكلام الكبير ده يا دكتور؟

في ثوان تبخرت كل العبارات.. رأيتُ شبح التلعثم وهو يُلوح لي من بعيد ككل مرة تمكن فيها مني. أصعب لهذه الدرجة؟ فقط أن أحييه على شجاعته وعما عجزتُ عن القيام به.

أما آن الأوان أن أصرح أني أضيق بهذه الملابس الخانقة وبالشعار المثير للشفقة (يكفيني فخر أبي).

حاولتُ جاهدًا أن أتماسك..

جملة ركيكة مخجلة هي التي نجحت في التلفظ بها عن يقيني بكونه مختلفًا عن غيره من اللاعبين.. اتجاهاتهم معروفة إما التدريب أو التحليل

أما هو فلا.

ليس هذا ما أردتُ قوله!

لا أظن أني سأهنأ إن صارحته بما قام به والدي.

حتى هو.. لا أعتقد أنه في حاجة إلى سماعي فلن يغير من الأمر شيء.

طاردتني عيناه برغبة حقيقية لمعرفة سبب ندائي المفاجئ له.. اضطررتُ للكذب علّه يحافظ على ما تبقي من شكلي أمامه.. أخبرته أني فقط أردتُ الاطمئنان أن الأمور كلها على ما يرام.

خديعة أمي الكبرى..

-كورة إيه بس يا ابني.. مبروك التخرج يا دكتور.

مسكينة لم تدرك أن الحياة ستضعني في مواجهته ذات يوم وسأجبر حينها على تقديم المساعدة.

حضرتني وفاة أبي..

توافد العشرات مكررين العبارة ذاتها (البقاء لله يا دكتور).

وقتها فقط بدا لي أنه كان محقًا فالكلمة أفضل من مثيلتها بكثير!

رحل المعزون بعد أداء الواجب وأطربنا صوت الشيخ العذب.. انتهت مهمتهم ولم يُكتب لعنائي النهاية بعد!

# 21 يونيو 2019

أثنت على اختيار المكان وإن أخبرتني ملامحها الهادئة أنها فقط تحاول المجاملة.

تهنئة مزيفة تل والأخرى عن هالة النور التي أحاطت بوجهها عقب قرارها الأخير.

الحفلة على وشك البدء.

من أوهم هؤلاء الأغبياء أن الجلوس في المقصورة الرئيسية تلك هي المكان الأفضل للمشاهدة؟

"سليمان" يتصل.

حضورها معي أنساني موعدنا قبل المباراة..

لاحظتُ شرودها.

إجابتها لم تكن مرضية.. تعلم جيدًا أن الوقت كاف للتحرك من الأستاد للمطار. أتساءل عن كونها ممثلة بارعة حسبما يقولون رغم محاولاتها الساذجة للادعاء.

فقط عيونها تبوح بما تحاول شفتاها إخفائه.

"سليمان" قالي على فكرة.

ارتسمت البسمة للمرة الأولى هذا اليوم إن أسعفتني ذاكرتي.

-هو "سليمان" عارف كل حاجة كده؟

وكأنها تجاهد كي لا تبكي!

-"شريف" كان بيحلم باليوم ده.

قالتها وهي تحاول إخفاء وجهها بيديها لأجد نفسي دون تفكير أخبرها بعصبية أننا لن نذهب للمطار بعد المباراة.

# سليمان..

# ديسمبر 2018

رغبة واحدة استبدت بي.. أن أغادر أن أسير أن أموت فالأمر سيان عندي. كنتُ أريد أن أبتعد ألا أعود أبدًا. أن أختفي أن أتلاشى في الغابة في الغيوم.. أن تُمحى ذاكرتي أن أنسى.. أن أنسى.

**أغوتا كريستوف

- ما تنشف ياض .. مكانوش ملاليم مبيكفوش سجاير ومحدش بيقرأ لك كمان.

- طب هات سيجارة وغور.

قام بالفعل.. لسنا أصدقاء ولن نكون ولا أعلم لم تعاطف معي هذه المرة؟ كاد يردف أنها ليست السابقة الأولي لي وله أيضًا وإن آثر القيام بهدوء ليتركني هنا.

التفكير في إنهاء هذا العبث يروادني من جديد ويكاد ينتصر.

تتسلى عبارة ذلك العجوز بوخزي وتلعن تلك الدمعة التي سالت دون إذني وأقحمتني في هذه الدوامة..

منشور جديد لا يختلف عن سابقيه سوى بهاتين الكلمتين "ذكر انتحار" علّ أحدهم يهدئ من روعي أو حتى يمدني بالشجاعة التي أحتاجها.

عناء السنوات السبع..

وحشة أول ليلة في صقيع المدينة.. تلعثم المكالمة الأولى كعذراء في مخدعها أو أكثر صعوبة.. مكافئة مجزية تبعها ثناء من رئيس التحرير شخصيًا.. محاولات كل من في القسم لرحيلي التعسفي.. نظراتهم بعد توقيع الريس علي القرار وانتشار الخبر في صالة التحرير.. مهانة الاقتراض لأول مرة.. تلك الليلة في المستشفى بعد الإفراط في السجائر.. وجه "آلاء" الشاحب وهو يخبرني بالرحيل وإن لم تجرؤ هي.. القسم وراء الدكتور "خالد" في حفل التخرج.. المؤتمر الصحفي الأول في ماريوت الزمالك وملابس هذه الفتاة في البار.

انتبهتُ على صوت "ثابت"..

-أنت لسه هنا؟ مش يلا نروح.

لا يعلم "ثابت" أني أقضي الليل هنا.. فلم تكن هناك وسيلة أخرى. كان عم "أمين" هو من سمح لي قبل أن يغادر المدينة ويبدأ مع ابنه رحلة العلاج. لم أنعم بعد رحيله بفنجان قهوة كالذي كان يعده وهو يستمع إلى شكواي اليومية دون كلل عن ظلم رئيس التحرير.

-متآخذنيش يا ابني.. أبوك وأمك ميتين والبت اللي حبتها زحلقتك مكمل ليه؟

كانت صراحته تبعث على الضحك.

كنتُ أحاول تبسيط الأمور له وأختتم مستشهدًا أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا فيرفع صوته بخشوع "صدق الله العظيم" ثم يخفض صوته معترضًا مستخدمًا الكلمة الأشهر ويردف بعدها:

-هو الجري ورا الرقاصات وصبيانهم حسن عمل يا.***

كلهن راقصات في عين عم "أمين".. ممثلة كانت أو مغنية أو أي ضيفة نرسل لها سيارة القناة لتطأ قدماها أرض مدينة الإنتاج الإعلامي أو مستنقع الأوساخ كما كان يحلو له أن يلقبه فهن راقصات والجميع صبية لهن.

كانت ليلة هانئة تلك التي تكافئه فيها إحداهن بمبلغ سخي بعد انتهاء الحلقة.. أكثر هناءً من حلقات الطعام فاغداقه علينا بالسجائر بعدها كان حتميًا.

-فلوس حرام يا ابني نصرفها في حاجة حرام هنعمل بيها إيه؟

ابتسمتُ رغمًا عني.

لأتحمل سبابه لي وأتصل به كي أطمئن على ابنه حتى.

رسالة من أستاذتي الجامعية تعبر بها عن قلقها حيال منشوري الأخير.. لم أجد ردًا مناسبًا اكتفيتُ بترديد آمين وراء تكرارها الدعاء من جديد (ربنا يعوض صبرك يا حبيبي)!

-يا عم "أمين" فينك يا راجل يا طيب؟

سبني كعادته وسألني بصدق عن أخباري.. تألمتُ لحالي وحاولتُ الهرب من الإجابة.

-لسه زي ما أنت يا ابني؟

سيكون كذبًا لو كانت إجابتي بلا.. فحتى قشة النقابة قد تلاشت إلى الأبد..

-الحمد لله.

أعتقد أنها كذبة مغلفة تصلح في هذا الموقف الحرج. طمأنني بدوره على وحيده.. أتاني صوته كأنه يجاهد كي لا يبكي.. لا يختلف كثيرًا عني ثم طلب الدعاء له بالشفاء.

سألته إن كانت حالته المادية بخير وتمام استعدادي لمساعدته لينهي المكالمة كما بدأها بسيل من الشتائم أدخلني في نوبة من الضحك كنتُ في أشد الحاجة إليها.

أحتاج المزيد من السجائر كذلك..

اعتدلتُ في جلستي داخل السيارة.. برودة الجو تشارك الجميع تأديبي في هذه المسرحية الهزلية التي ستنتهي حتمًا ببصق الجماهير في وجه ممثلها الأوحد.

الوقت يمر.. الثانية والنصف.. فقط نصف ساعة وأستطيع الدخول للنوم في الداخل دون خوف.. انضم الجوع لرفاقه وبدأ في نهش أحشائي.

40 ٪ هي المتبقية من بطارية هاتفي ستكفل لي قراءة التعليقات بعدما أخبرتهم مدى خنقي من كل ما يحدث آملاً أن يجد أحدهم حلاً سوى ترك المهنة والمجال بأسره بحثًا عن الراحة والاستقرار حسبما يزعمون.

فعلتها قبلًا في عامي الثاني في الكلية وانتهى الأمر بالعودة من جديد.. الحق أن طيلة فترة العمل لم يغب عني حلم العودة قط!

تفاصيل الرحلة مزعجة هي الأخرى.. أكثر إزعاجًا من أدمن الجروب الذي رفض نشر ما كتبت لاحتوائه على ألفاظ بذيئة ستخدش حياء الأعضاء المشاركين.. عل كلِ فقد نال حظه من لعنات هذه الليلة.

وكأّن عقارب الساعة انضمت لباقي أفراد الكتيبة..

لعنة الصور القديمة تطاردني، خلف كل واحدة سر ما.. كلمات الثناء ونظرات الفخر بهذا الشاب صغير السن كانت تدفعني دومًا للأمام.

(هما موظفين مش زيك).. كانت تتكرر باختلاف الأسلوب ولم تزدني إلا إصرار.

أعود لأتذكر محاولات عم "أمين" لمعرفة السبب وراء بقائي هنا رغم تعدد مآسيّ التي كان يسردها ببساطة.

شعور خانق بالظلم.. عجز وهو الأصعب! مجاملات فجّة.. حالة مالية مثيرة للشفقة ويظل هذا الصوت المؤرق بالاستمرار فمن اختار لنا الطريق لن يتركنا في منتصفه.

لم يساورني الشك ولو للحظة حيال ما أتمتع به من موهبة.. حتى السلاح الأقوى في هذا المجال أجيد استخدامه بشهادة الجميع وحربهم لي داخل القناة وخارجها دليلي القاطع!

الثالثة صباحًا..

لا مفر من الدلوف للداخل فشتاء الأسبوع الأخير من ديسمبر يبشر بشتاء صارم العام القادم.

-متنساش تخف دقنك شوية يا أستاذ "سليمان" هياخدوك معاهم.

من يقصد عم "طه" بالضمير الذي اختتم به تحذيره؟ لا أعلم فاكتفيتُ بابتسامة صامتة سيبررها دون شك كوني منهك من تعب اليوم وإن كان أقصى ما تمنيت أن يكون على حق في تفسيره!

# React

كدتُ أحطم الهاتف للمرة الثانية.. لولا قرابة 3000 رقم هم أغلى ما أملك من ثروة.

نوم متقطع بعد هذه الليلة العصيبة.

الاستعداد برتابة لطقوس اليوم المعتاد.. الهجوم على عجوز الأمس لم يتوقف في التعليقات إلى الآن. لم يقدم أحدهم حلًا في تعليقه على المنشور سوى البحث عن مهنة جديدة.

إلقاء اللوم عليّ وتوبيخي في بعض التعليقات أدهشني قليلًا وإن لم يسعفني الوقت فعليّ البدء بالتواصل مع ضيوف الغد للتأكيد عليهم وتذكير "مجدي" أن ضيفة اليوم لن تحتاج غرفة المكياج فمساعدها سيأتي معها وتذكرتها شخصيًا أنها لم ترسل لي صورة بطاقته إلى الآن لإنهاء التصريح الخاص به.

ماذا عن قائمة الضيوف القادمة؟ أحد مشاهير السوشيال ميديا في الفقرة الأولى.. طريقة "فتحي" المعتادة.

لم أنس والد "آلاء" وهو يسألني عن معنى كلمة (أدمن) وأنا أحاول عبثًا أن أشرح له وعتابها لي بعد ذلك.. ألم يكن هو من استنكر في البداية مرتب

الصحفي واضطرني للحديث عن الصفحات التي أتولى إدارتها كوسيلة لزيادة الدخل.

لا فائدة من تلك المهاترات.. فقط أطمئن من صورتها على الواتس آب أن رقمها كما هو لم تغيره. لو أرادت القيام بذلك لما تأخرت إلى الآن.

# Mérite

لم أكن أتوقع أن إزالة الآثار ستكون بهذه الصعوبة!

أخطأتُ في الاختيار وعليّ التحمل.

آلمتني شفتاي معلنة اكتفائها باستسلام تام ومستفسرة عن سر الزج بها منذ البداية..

أعود لتمزيقها من جديد وكأني أنتقم! محاولة للتطهر؟ ربما..

أتكون تلك الوسيلة كافية؟

لم لا تحادثني أمي الآن لأخبرها أين أكون وأزيل ذلك العبء عن كاهلي؟

أنّى لها أن تفعل!

من أين لها بالوقت وقد كرّسته في الدعاء لي بالتوفيق والسداد في المذاكرة؟

ليتني أذرف بعض الراحة من عيوني ففيها الخلاص.

الهاتف يتدخل.. أتكون الرحمة في صوت أمي؟

هل يستحق أمثالي؟

صوته أجابني بأسرع مما توقعت.. لم يمهلني حتى!

ينتظرني في سيارته.. يطلب مني أن أسرع.

-يلا يا "لولو" هنتأخر.

أحاول جمع ما تبقى مني..

أطيل النظر إلى الغرفة الفارهة وأتذكر نظيرتها التي ضقتُ بها وليتني لم أفعل..

أسارع بالنزول وأتسلح بالابتسامة ذاتها للرد على أسئلته المعتادة التي لا يمل من تعذيبي بها وإن كان عن غير عمد!

ليت عذابه يقتصر على تلك الأسئلة..

# سليمان..

# يناير..2019

- جاهزين لحلقات عيد الشرطة ولا لسه؟

همستُ في قرارة نفسي أن الخامس والعشرين لا يعني سوى الثورة أيها الحمقى ولعنتُ عدم قدرتي على ترديدها بصوتٍ عال.

عدتُ للتفكير في معضلتي الخاصة..

هل تسرعت؟

نفوذ "أيمن" وتلك الهالة المحيطة به منعني من التروّي قبل إبلاغه بإذعاني.. صراخ "فتحي" وهو يسألنا عن حلقات عيد الشرطة وكأني أسمعه للمرة الأولى نبهني أني لازلت في القناة.. وأن هناك الكثير في انتظاري وانتظاره!

صدى حديث "أيمن الشاذلي" بعدما أخبرته أني على استعداد للبدء في مخططه يتردد في أذني.

-أنا من سأتولى إخباره.. عناء أتكلفه لأجلك فقط ولكن تذكر فبذلك ستخسر انطلاقة قوية. كن طبيعيًا سأعول في البداية على لباقتك أكثر من ذكائك.. لن أرغب في رؤيتك بعد الآن أرقامك ستتولي التحية نيابةً عنك.

لم تتأثر أرقام "فتحي" يومًا!

صحيح أن أحدًا منا لم يجرؤ قبلًا على إقحام نفسه في هذه التفاصيل ولكن المؤشرات كانت واضحة..

الغريب أن ما ينتوي "أيمن" القيام به عن طريقي يختلف تمامًا عن أساليبه المعهودة. هو لا يعتبر تكليفي الجديد مجازفة!

-أنت كان ناقصك حاجة وأنا هديهالك. "سليمان".. لو مكانش الجورنال الأصفر ده مشاك مكنتش هسحبك.

"فتحي" يكرر السؤال لأجيب أستاذي السابق دون وعي أنّ الأفكار مُعّدة وسأبدأ التواصل مع الضيوف.

رغبة مُلحة انتابتني بزيارة مكان عملي السابق.. كيف لا! وقد كانت الطريقة التي رحلت بها والمحاضرة التي ألقاها مديري الأسبق على مسامعي بحضور "ميادة" وباقي المديرين هما ما دفعاني لإخبار "أيمن" استعدادي للبدء.

-مشوار صغير يا ريس للقرية الذكية وراجع قبل الهوا.

لم أتعمد الإفصاح عن وجهتي وإن تمنيتُ أن يسألني..

"علا" تنتظره في غرفة الضيوف. هي هذه الجميلة التي ذكرها "الشاذلي" في حديثه الساخط.. لا تقل جمالاً عن تلك التي أجلسها على ركبتيه يداعبها فور انتهائنا من الصلاة.

كانت ساذجة إلى حد الشفقة.. لاحظتُ ذلك منذ اليوم الأول لها هنا وتأكد حدسي بعدما طلبت عدم إخبارهم عن دراستها معي بالكلية.

-يا بنتي ما هو كده كده هيشوفوا بطاقتك.

سرعان ما أثبتت لي الأيام سذاجتي بعدها ببرهة..

مقاومتها لم تدم طويلًا على الرغم من أن جاذبية "فتحي" ليست بهذا التأثير أو هذا ما كنت أحسبه.

أسبوعان وانسدل شعرها الطويل على كتفيها وارتفع صوتها معلنة عدم اقتناعها بالحجاب منذ البداية.. الغريب أن أحدًا لم يسألها.. فقط هنأها البعض وتحسر القليل.

# وما أبرئ نفسي!

غرفة الضيوف مكتظة كالعادة..

اضطررتُ لانتظار "فتحي" هنا على مضض فغرفته مشغولة منذ أكثر من ساعة.

سألتني إحدى الموجودات بشغف حقيقي عن إمكانية التدريب في القناة، ذكرتني هذه اللمعة في عينيها بشيء مماثل انطفأ منذ مدة.

حتى طريقتها في الكلام تجبرك أن تلهث خلف كل جملة تنطلق منها سريعًا عن مثابرتها واستعدادها التام للتحمل في سبيل الوصول لما تحلم به.

لازالت في الثانوية العامة كما سمح لي تركيزي المشوش أن ألتقط من حديثها المتسارع وإن أرادت إثبات نفسها واقتناص فرصة من الآن لاكتساب الخبرة.

أنهت كلامها أخيرًا..

حتى القدرة على إحراجها بأن رأسي يؤلمني وأني لست في حالة تسمح لي بالاستماع لثرثرتها تلك كنت أفتقدها.

وكأنها تذكرت شيء أخر تصفعني به من جديد..

-أنا كمان يا أستاذة والله بعتبر كل الناس اللي زيك قدوة ليا.. عارفة إنك اكيد تعبتِ جدًا عشان تشتغلِ هنا.

تدّخل "ثابت" بجرأة..

-"علا" من أكتر الناس اللي تعبت هنا.. "لولو" مكانتش بترتاح خالص.

نظرتُ له بحدة كي يتراجع.

جرأته لم تصل إلى هذا الحد قبلًا.. أنسى أنه يتحدث ضمنيًا عن رئيسه وبوسعي أن أخبره في لحظات!

عادت الثرثارة لتلح من جديد وتطلب مني النصيحة.

-يا "لولو" متبخليش عليها بخبرتك.

هذا الحقير يحتاج لتأديب وإن كان على حق..

دخول "هبة" لتصطحب ضيوف الفقرة الأولى كان توقيته مثاليًا.. أخبرتها عن رغبتي في الحديث معها فاعتذرت بسرعة لانشغالها وطلبت مني أن أتمهل قائلة:

-احنا هوا يا "علا" معلش.

-"هبة".. لو ينفع دلوقتي!

يبدو لي أنها انتبهت إلى الدموع التي لمعت في عيني فشدّت على يدي بقوة وخرجنا سويًا.

قسوة شتاء يناير جعلتني أتردد..

أشعلت سيجارتها بهدوء ودعتني أن أبدأ.

مقارنة سريعة عقدتها.

أختلف عن "هبة" كثيرًا! لم أكن يومًا قوية مثلها، لا أظن أن لفارق السن بيننا علاقة بهذا الأمر، هل جرؤ أحدهم يومًا على تخطي حدوده معها؟ ما كانت لتسمح له بذلك! حتى "فتحي".

باغتتني بسؤالها:

-عرفتِ ولا لسه؟

أخبرتها بصدق أني لا أعلم عن ماذا تتحدث.

ترددت لحظات وأردفت:

-أنا من الأول قلت مكانك مش هنا.

هل أسألها الآن بعد قرابة العام لي في القناة عن كره الجميع لي دون استثناء.. أشعر أني في حاجة للإجابة على هذا السؤال وإن كانت غير مجدية.

"علا" أنا بقالي هنا 14 سنة محدش شاف عيني بتدمع مرة.. مينفعش كده!

مكالمة أمي تتدخل.

-ارجعيلها يا حبيبتي.. أيًا كان اللي خسرتيه.. النهارده أخر يوم لفتحي هنا وانتِ السبب في جزء كبير من اللي حصل. ارجعي أنتِ لسه جواك نضيف.

أنهت كلامها وأسرعت بالدخول للحاق بالفقرة الجديدة لتتركني في هذه الدوامة أحاول أن أعي تلك المفاجأة التي ألقتها على مسامعي.

جلستُ على الرصيف الخلفي للقناة.. أشعلتُ سيجارة ويداي ترتجفان.. جالت بخاطري تلك العبارة التي بدأت بها أول تقاريري في القناة..

– كيف تجاوزت الأمر بهذه السهولة وكأنك لم تتحطم؟

– لا أملك رفاهية الانهيار.. أنا مجبر علي التجاوز.

ولكني تحطمت.

فكرتُ في اللجوء لنورهان.. الوحيدة التي استمرت في سؤالها عني حتى بعد خلع الحجاب.. لم تتنصل كالبقية.

كنتُ في حيرة من أمري.. كيف أفاتحها؟ آثرتُ البدء بشعوري الحقيقي بالذنب حيال كل ما اقترفته وأني لن أحاول الظهور كالبرئ الذي لم يرتكب إثمًا.

سألتني إن كان بإمكانها الاتصال. أخبرتها صدقًا أني بالكاد أتحمل عناء الكتابة على الهاتف.

كانت لحظة صعبة عندما ذكرت "فتحي".. تلعثمتُ قليلاً واكتفيتُ بقولي:

–واحد بيساعدني هنا.

تحملتني للنهاية وسألتني عن خطوتي التالية فلم أدر بم أجبها.. رد فعل "فتحي" يثير فزعي.

الخوف.. اللعنة الأكبر. شرارة البدء كانت بسبب الخوف!

مصير مجهول.. فقط "فتحي" قادر تذليل عقباته، إذًا ولم لا خاصةً أنه لم يطلب الكثير. ينصحني.. فقط ينصحني، خبرته والسنوات التي قضاها هنا تجبرني على الإذعان لكل ما يقول مهما كلّف الأمر.

كيف آلت النصائح إلى فرمانات عسكرية بعد ذلك؟

ما الذي تحمله الأيام القادمة؟

(اللجوء إلى الله) هذا ما اختتمت به "نورهان" حديثها وما ذكرته "هبة" أيضًا وإن لم أتوقع ذلك منها على الإطلاق.

هل فكرت إحداهن قبل أن تشير عليّ بهذا الأمر أنها مسألة صعبة للغاية؟

الدعاء الذي نصحتني "نورهان" بترديده (اللهم ردني إلى دينك ردًا جميلا) وتحيتها لي على إقراري بما فعلت شجعاني بعض الشيء.. أزالا تلك الرهبة من موقف "فتحي" بعد إقالته.

أعلم أن الدعاء وحده لا يكفي ولكن..

رسالة على الواتساب..

-كويس إنك مشيتِ.. مش عايز أشوف وشك تاني يا ****.

تسمرتُ للحظات أفكر في أحداث هذه الليلة التي تلاحقت بسرعة.. ماهي إلا ثوان وأمسكتُ الهاتف بأصابع مرتجفة ليحتضنني صوتها الدافئ:

-وحشتيني يا بنتي.

# فبراير..2019

مبروك يا "سليمان" تهنئة تفوح منها رائحة النفاق تل والأخرى..

لوهلة تأملت هذه الأوجه أمامي وشعرتُ أنها تختلف كثيرًا. مزيج من مشاعر مختلطة عليّ بالخلاص منها سريعًا كي لا تُعجل برحيلي من هنا.

أمّر في طرقات القناة وكأنها المرة الأولى!

أهو حظ حسن أن يكون الاجتماع الأول لحدث كعيد الحب؟

أنا مدين لكاتب هذه الكلمات بالكثير..

أنت مش أشطر واحد في مجالك والشغل اللي أنت فيه مش شطارة منك ده توفيق من ربنا.

فيه غيرك أفضل 100 مرة مجاتلوش الفرصة اللي جاتلك فافتكر دايمًا إن ده فضل ربنا.

امبارح كنت تايه ومش عارف الطريق دلوقتي بس فاهم.

هذه هي المرة السابعة تقريبًا التي أعيد قراءتها وإن كنتُ أتظاهر أني أخرج الهاتف لأدون بعض الملاحظات.

العيون تطاردني وفحيح همساتهم يصل إلى أذني دون أدني مجهود منهم لمنعها!

الدلوف لغرفة الاجتماعات قبلهم جميعًا.. ربما هي رسالة وددتُ أن تكون أول ما أحذرهم منه..

سماع اقتراحاتهم المبتورة أقلقني بعض الشيء. زاد من حيرتي.

لم أتصور يومًا أن اختيار طبقة الصوت التي أحادثهم بها سيكون بهذه الصعوبة.

حاولتُ الهرب بسيجارة جديدة لينقضوا عليّ وينبهوني أنّ سابقتها لا تزال مشتعلة أمامي فتداركتُ بسرعة وأنا أدعوهم قائلًا:

-عربون محبة أهو كبداية.

الخوف من هؤلاء!

تقبل بعضهم مبالغين في الشكر واعتذر آخرون والسموم المنبثقة من عيونهم أكثر ضراوة مما تحويه لفافات السجائر.

لم أجد بدًا من إنهاء الاجتماع المخجل.. لو كان "أيمن" هنا لأصدر أمرًا برحيلي في الحال ولم أكن لأجرؤ أن أنبس بكلمة واحدة.

اكتفيتُ فقط بتذكيرهم أن هناك أسبوعان يفصلانا عن بداية مارس والانطلاقة بخريطة برامجية جديدة علينا الاستعداد لها جيدًا.

اكتفوا بهز رؤوسهم وخرجوا تباعًا ليبقى فقط الأستاذ "ديشا"

"درويش" له كاريزما مختلفة. تأسرك منذ اللحظات الأولى.. كان الوحيد الذي ذكر "أيمن" اسمه في لقائنا.

له قدرة هائلة على الظفر بثقة جميع من حوله.. يشعرهم أنه أقرب إليهم من أنفسهم حتى.. يسمح لهم بمناداته "ديشا" حتى تحين اللحظة التي يُقصر فيها أحدهم رغمًا عنه فطيلة أعوام لم يملك أحد مرؤوسيه الشجاعة الكافية التي تكفل له أن يقصر في عمله بكامل إرادته فسرعان ما ستتدخل كلمة (الأستاذ).. فأطلقنا عليه "الأستاذ ديشا"

رئيس تحرير البرنامج الأهم هنا.

يعلم هو وكذلك المقدم أن منطقتهما محظورة كليًا لا يُسمح لأحد بمجرد التفكير في الاقتراب منها أو حتى طرح الأسئلة.

هناك ثوابت في هذه القناة لعّل أهمها برنامج "إبراهيم المصري" والأستاذ "ديشا" رئيس تحريره.

حاولتُ أن أتحدث ولم تُفلح إحدى محاولاتي.. ربما لأن رأسي كان ممتلئ عن آخره بالأفكار!

استعد للقيام وقال لي في هدوء:

-قولهم إن الفرخة اللي مش بتبيض بتتدبح وعرفهم إنك جاهز.

وتركني في الغرفة مع عبارته تلك..

"ديشا" له استراتيجية خاصة لا أعتقد أني سأعمل بها يومًا.. يترك أهل الثقة.. ينتقيهم بعناية لا تكفي مجلدات لوصفها مع الاحتفاظ بالكلمة العليا له في النهاية..

يتحرك فريقه معه أينما ذهب وأجزم باستحالة عمل "إبراهيم" مع غيره.. يشكلان معًا ثنائيًا ليتنا درسناه في قسم الإعلام بالكلية.. لاختلفت النتائج دون شك!

عاد من جديد.

هل هناك ما نسى إخباري به فتحركاته محسوبة بدقة فائقة.

-ولو حبيت تلعب متعملش زي صاحبنا.. "أيمن" زعله وحش زي ما شفت.

شكرته بهدوء واتجهت للشقة التي حرصتُ أن تكون في أقرب مكان للقناة. حمام ساخن حاولت به نسيان الماضي.

ذقن حليقة لا شك أنها ستفاجئ الجميع.. نقاط الدم ذكرتني أن الموس لم يداعبها منذ شهور.

مشوار آخر وجدته مهمًا للغاية.

"خليفة" هذا القهوجي المتفان في عمله لدرجة لا توصف يستحق جائزة.. يرغمني على اختيار دائم لهذه القهوة رغم بعد المسافة.

استقبلني بترحاب.. مع سؤاله الذي لا يمل من تكراره إن كنتُ سأجرب الشيشة هذه المرة.

-ما جربنا مرة وخلاص. بس هات عشان خاطرك.

تهللت أساريره وبأنامل ذهبية ستكفل له ولأحفاده مستقبل ممتاز أعدّها.. لو كان الأمر بيدي لاستضفته في حلقة ما.

ضحكت.. فالأمر بيدي الآن.

-عايز حتة منورة وحياتك.

أذعن لطلبي قائلًا:

-ونبعد الناس عنك كمان يا باشا.

-مش أنا اترقيت.

-لا ده احنا نبارك لك بقى.

قطعة حشيش ملفوفة بعناية دسّها في جيبي وهو يقسم بالطلاق من زوجتيه أنه لن يأخذ ثمنها فتكفيه فرحتي.

تعجبتُ لحالي.. ولهذه الراحة التي غمرتني بعد أن شاركته الخبر السار.. كنتُ في حاجة ماسة أن أشارك أحدهم حتى أني تنفست الصعداء بعدها.

يبدو أني كنتُ واهمًا حينما ظننت أن آلامنا وحدها هي التي تستلزم المشاركة فلحظات الفرح أيضًا لو لم تكن برفقة لآلت إلى شيء آخر.

كنتُ مستعدًا بقلمي وبعض الأوراق.

-مقال ده يا باشا ؟ مهو ينفع عندنا أهو! بيتكلموا بس على قهاوي وسط البلد ليه؟

اكتفيتُ بهز رأسي مع ابتسامة التقطها بسرعة وتركني بذكاء كي لا يشوش تركيزي. أطلتُ النظر للمبنى المواجه للقهوة وشرعتُ في الكتابة.

علاقة خاصة بين الصحفي وقلمه. لم يكن الهاتف يومًا وسيلة فعالة لي للكتابة! فسحر الورقة وهي تسمح للقلم منتصبًا يداعبها يمينًا وشمالًا دون أدنى محاولة لمنعه له جاذبيته الخاصة.

تعلم أنها الفائزة في النهاية.

عكس تلك الغبية في الفندق التي ظنت أنها تدلل بادعائها الرفض وأذعنت في النهاية قبل أن تأتيها صحوة الضمير المفاجئة لتفسد كل شيء.

لن أسمح لتلك الأفكار أن تأسرني!

أمعنتُ النظر إلى هدية "خليفة" الثمينة وانطلقت أبوح للورقة عما بداخلي.. بدأت بكتابة الأسماء مع ملاحظات بجانب كل اسم.

"عزت" بدا متحفزًا للغاية ينتظر كيف سأستغل المناسبة الان للرد على تجاوزاته السابقة في حقي ومحاولاته التي لم تتوقف كي أرحل.

"هواري" سيُّذكرني بلزاجته المعهودة بأول أيامي في القناة وسعيي للجلوس عند قدميه كي أنهل من خبرته.. أتمنى أن تسعفه ذاكرته أيضًا ليتذكر كيف كان يواجه هذا السعي.

أعلم أنهم متخوفون فهم على يقين أن الفرصة سانحة لي الآن.

أحاول من جديد طرد هذه الأفكار!

يفصلنا أسبوعان فقط، أحتاج مراجعة ملامح الخريطة البرامجية الجديدة.. فريق السوشيال أيضًا بحاجة لجهد كبير حتى لو كانت نتائجهم مرضية نوعًا ما، لن أنسى ضرورة التفكير في اسم جديد يتولى مسئولية التقارير وأمور التعليق الصوتي.

لا بأس ببعض المهنية في الخطة طالما أني سأحافظ على معاييرهم الأهم!

منشور جديد كوني لا أجد الكلمات الكافية لشكر أصحاب التعليقات والمباركات الصادقة بعد أن تجاوزوا 800 شخص بالإضافة إلى الرسائل التي لن أتمكن من الرد عليها.

قلائل من ذكروا أني أستحق وإن لم أكترث..

انتهيتُ من كتابة الملاحظات، شكرتُ "خليفة" بحرارة وأطلتُ النظر للمبنى ذاته، أعدتُ قراءة الجملة من جديد فقد كنت على ثقة أنّ الوقت لن يُسعفني بعد الآن لقرائتها حتى.. وهمست بصوت خافت (ها قد بدأنا).

# Mérite

أقسم له من جديد أن الأمور على ما يرام ولا حاجة لكل هذا التوتر..

يُرجع ثقتي إلى الأعوام التي قضيتها في الكلية ويسألني الدعاء مجددًا!

دقات "سليمان" المعروفة على الباب..

لازالت تلك الدوائر السوداء تلقنه الدرس قاسيًا في معركتهما سويًا.

المزيد من السجائر ترغمني على الابتسام!

يعتذر زوجي بأدب..

-كفاية يا أستاذنا المدام حامل.

مرت لحظات قلائل.. أحاول جاهدة استعادة شجاعتي.. أدهشتني ردة فعله.

هذا البرود يكاد يخنقني.

لم يبد عليه أي تأثر، لم يمهل تلك الفتاة الغبية الحالمة الفرصة للتمني من جديد! أستحق أكثر من ذلك.

يأتي أحدهم ويطلب من زوجي التحرك.

فرحة غريبة تعتريني مشوبة بجزء من خجل..

لم أعدها خيانة كما أخبرتني أمي.. تبالغ بطبيعتها!

هناك مرآة في الركن البعيد لهذه الغرفة الغريبة التي ألقونا بها.. كطفلة صغيرة لا تنتظر سوى رؤية أصدقائها لها بملابس العيد الجديدة.

يفاجئنا زوجي بدخوله.. تلعثمه يؤكد كم هو خائف! وإن حاول التظاهر بغير ذلك.. يشيد بإطلالتي ويتساءل من منا سيظهر على الشاشة هذا اليوم.

أجيبه برقة أجيد تصنعها أن ظهوره سيكون رائعًا وذكرى لن ينساها في حياته وكذلك أنا.. إلي أن غادر أخيرًا برفقة المعد.

تدخل صمت ثقيل لم يقطعه سوي جملة "سليمان" باقتضاب:

-أنا آسف..

أعلم جيداً ما تسببه لها رائحة السجائر وإن كان ما بدا لي هذه المرة أن الظلام الذي التهم عيوني وكاد يخفيها هو ما ضايقها.

كدتُ أخبرها أنه لا جدوى من هذه اللهفة المرتسمة على وجهها.

يبدو أني سأحتاج للمزيد من الحدة كي تقنع وتتراجع!

-مبروك يا "سليمان" فرحت لك جدًا.

-مبروك ليكي يا "آلاء" إن شاء الله يكون ولد ويكون شبه باباه.

لم يردف أحدنا..

حاولتُ أن أكسر حاجز الصمت فلم أجد سوى إشادة كاذبة بتألق زوجها على الشاشة وتابعت:

-الحج عامل إيه؟

سؤال جديد أكثر سذاجة.. كلانا يعلم أن هذه السخافات التي نحاول التهرب بها لم تكن قدرنا يومًا!

-بابا بخير الحمد لله.

-الحق يا "سليمان"... صراخ "ثابت" واقتحامه المفاجئ للغرفة أزعجها وظهر ذلك جليًا على ملامحها فسرعان ما اعتذر بأدب لم أشهده منه يومًا..

-خير؟

سألته وأنا قلق بالفعل..

لو كان المقتحم شخص أخر لاختلف الأمر كثيرًا.. "ثابت" له خبرة أعترف أنها تفوقني حتى في عدد السنوات التي قضاها هنا فالغلبة له.. لذلك تأكدتُ أنه حدث جلل.

-حد لعب في مونتاج التقارير.. حد قاصد.

صرختُ دون وعي:

-يتسجل غيرهم دلوقتي.

شرع في إيضاح فكرته. لم يكن هذا ما يعنيه.. أعلم ذلك.

نظرتُ إلى وجه "آلاء" وملامح القلق تنهشه واستأذنتها بسرعة وأنا أخرج مع "ثابت".. سرنا صامتين في طرقات القناة. لم يكن يعلم وجهتي حتى قلت بهدوء:

-"ملك" تسجل تاني حالًا.

لولا ثقتي أن "ثابت" لم يتسبب في ضرب الهوا القادم لاعتبرته شريكًا معهم وهو يخبرني أنها الثامنة مساءً و"ملك" في طريقها للمغادرة.

اتصلتُ أنا بها بعد دخولي غرفة المونتاج.. انهمكت في التسجيل بعدما شرحت لها سريعًا ما حدث وتسمرتُ أمام اللاب توب أقوم بإعادة التقارير يراقبني "ثابت" والبقية..

انتهيتُ وأنا أتصبب عرقًا..

طلبتُ من "حسين" أن يضع لمساته الفنية الأخيرة على التقارير كي تكون جاهزة خلال ثوان وشكرتُ "ملك" مرة ثانية وطلبت منها الانتظار للمغادرة في سيارة المدينة بدلًا من العودة وحدها وقد تأخر الوقت.

"ثابت" يتأمل ما يحدث ويذكرني أن "ملك" تذهب بسيارتها الخاصة.. لم يكن يتوقع ما قمتُ به. عيناه تتردد قبل طرح السؤال الذي أعلمه مسبقًا، فالحلقة بدون تقارير لن تكون كارثة أو سُبّة على جبيننا.. ألم يكن من الأجدر معرفة المتسبب في ذلك كي لا يكرر ما قام به!

-هات سيجارة يا عم.

ابتسم وأعطاني العلبة بكرم زائد.. كنت في حاجة لها بالفعل خاصةً بعد المجهود الذي بذلته..

"ثابت" لم يحادثني بعد تكليفي بالمنصب الجديد.. ربما لأن المفاجأة بالفعل لم تكن لتخطر على بال أحد أو لأنه لم يفلح في توقع خطواتي القادمة وانتظر حتى تأتيه مبادرتي وإن كنتُ أميل للرأي الثاني.

أجبرني تصرفه هذا على احترامه.. على الأقل لم يشعرني بالندم على قراري بوضعه في قائمتي الرمادية.. لم يكن كمن احتلوا عن جدارة الأسماء الأولى في قائمتي السوداء بعد أن صموا أذني بنفاقهم الذي يبعث على الغثيان.

اهتزازات الهاتف الصغير في جيبي.

رسالة عم "طه" بوصول فنانة مصر الأولى ضيفة "إبراهيم المصري" في حواره اليوم. سارعتُ باستقبالها بحرارة عند البوابة ومدح فستانها الذي كاد يُسقط طاقم الأمن جميعهم أرضًا فور رؤيتهم لما يظهره.

يا لهنائهم بعشاء تلك الليلة.

أجابت بدلال أن الفستان تصميم لبناني يليق بظهورها مع "إبراهيم" في أول حلقات الموسم الجديد.. فأقسمتُ أن المصمم قد قُدر له من الحظ ما لم يكن ليصادفه في أحلامه. واصطحبتها حتى وصلنا لغرفة الأستاذ "ديشا" لتُقبله بمرح واضح.

-المساعد الجديد بتاعك ده بيفهم.

فعلّق بهدوء:

-"سليمان حمدي" رئيس تحرير القناة الجديد.

رمقتني بدهشة ثم قالت:

-يبقى "أيمن" بقى هو اللي بيفهم.

أكدتُ على كوننا جميعًا تلاميذ للأستاذ "درويش" ولنا الشرف. ثم سألتها عن مشروبها المفضل لأسارع بتحضيره.. رد "ديشا" بحزم أنه من سيتولى ذلك وقام بإغلاق الباب.

"آلاء" تحاول الاتصال.

نسيتها بالفعل في غمرة تلك الأحداث المرهقة.. بدأت معدتي تُذكرني بدورها أني أقسو عليها للغاية عن انشغال هذه المرة لا لأسباب أخرى كما كان فيما مضى وإن لم تشفع لي..

توجهتُ إليها مسرعًا..

-"أحمد" خلّص من بدري.. بس كنت عايزة أطمن عليك.

ثم تداركت بسرعة وهي تشرح لزوجها تلك المشكلة التي أجبرتني على الخروج بوجه منفعل فطمأنتهما أن ما حدث هو طبيعة يومنا في القناة لا أكثر ولا أقل ليردد زوجها:

-كان الله في العون.

شكرته من جديد على تشريفه مع وعده بالتفكير الجاد في تثبيت الفقرة الطبية لتُذاع كل أسبوع للإجابة على الأسئلة التي تدفقت في لقاء اليوم ولتحين

لي فرصة أكبر للجلوس مع "آلاء" فالوقت لم يكن كريمًا معنا اليوم بالدرجة الكافية.

أخبرتني عيناها أنها ترحب بهذا الأمر وبشدة.. حاولتُ تجاهل تلك النظرة فلم أستطع!

من الواضح أني فتحتُ بابًا لم أكن في حاجة إليه في هذا التوقيت الحرج.. بإمكاني الاعتذار في المرة القادمة بصعوبة استخراج التصاريح لها علّها تفهم.

قمتُ بتوصيلهم للباب. كدتُ أعلق على سيارته الفارهة وإن كانت صدفة أن تكون باللون الأحمر وهو لونها المفضل وإن آثرتُ الدعاء لهم بالوصول سالمين.

قمتُ بالاطمئنان كذلك على عودة "ملك" لمنزلها بسلام.. أخبروني بوصول الطعام الذي سيخذلني كعادته بعد أن تتخلى عنه الحرارة.. كل ما في الأمر هي نصف ساعة استغرقتها في التأكد من نقل المواقع الإخبارية بدون استثناء حتي التي يجهل الناس بوجودها لأخبار برامجنا ونقلهم لكل تصريح علي لسان الضيوف.. يُكلفنا ذلك الكثير.

إلى أن غالبني النعاس وأنا أشكو كالعادة من الطعام البارد الذي أستحقه.

# اللّه أكبر

# منتصف مارس2019

جولة الهاتف المعتادة فور الاستيقاظ من النوم.

اعتبرتُ نفسي محظوظًا ليلة الأمس لأني ظفرت بأربعة ساعات كاملة في سابقة قد تكون الأولي بعد التكليف الأخير.

تلك الفنانة لازالت تطاردني برسائلها..

رشحتُ لها "ثابت" وإن لم يرق لها على ما يبدو!

رسالة "آلاء" استوقفتني.. تستفسر على لسان زوجها عن وعدي باستضافته في الفقرة الطبية الأسبوعية، أشك إن جال هذا بخاطره وقد كان تلعثمه كلما اقترب من الكاميرا مثيرًا للشفقة ولولا لباقة المحاورة لخرجت حلقة كارثية بكل المقاييس.

أجلتُ الرد عليها آملاً ألا أنسى.

هاتف القناة الصغير يتدخل وإن كان الوقت مبكرًا للغاية.

فقط سبعة أرقام في هذا الهاتف تمثل لي درع الأمان هنا. قابلتُ كلٍ منهم على حدة والفضل لهدية "خليفة" الثمينة يوم التقيته في القهوة واتفقتُ بعدها

مع كلٍ منهم أنّ رنين الهاتف هذا يعني كارثة وأن استخدامهم له يعني أن هناك ما يستحق!

أعول كثيرًا على ذكائهم في تفسير كلمة (يستحق)!

هناك من يطرق الباب أيضًا. تظاهرتُ أني لا أزال نائمًا لأتمكن من الرد على الهاتف بهدوء..

"عصام" أحد أمهر الرماة في فريقي السري. انقطع الاتصال فكررتُ المحاولة مرتين دون رد منه ليفاجئني بعد ذلك برسالة (اديني بس نصاية يا ريس أتأكد لك).

نال نصيبه من الشتائم التي لن يسمعها مجددًا في حياته. ولو كان أمامي لما تركته سوى في حاجة لتدخل جراحي عاجل.

منذ متى كانت هذه طريقتنا؟

فوجئتُ بنجاحي في الظفر بنصف ساعة جديدة وإن لم تتركني "آلاء" هذه المرة.. يبدو أنّ تأجيل الرد عليها لم يكن في صالحي.

قرابة الربع ساعة في الحمام بعد هذا الحلم تأكدتُ بعدها من ضرورة ذهابي إلى الشقة لإصلاح ما حدث.

اطمأننتُ في البداية أن الأمور في البرنامج الصباحي تسير بشكل جيد.. أثنيتُ على ضيوف الحلقة وتنفيذ تعليمات الاجتماع الأسبوعي بحذافيرها.

أخبروني أن ضيف الأسبوع القادم سيكون رئيسي السابق في الجريدة ومن كان السبب في رحيلي مؤخرًا.. حذرتهم بلهجة قاسية علّهم يعوا أني سأتصدى جيدًا لأي محاولة لمضايقتي وسأقف لها بالمرصاد.

لم يعد اختيار اللهجة أو نبرة الصوت الملائمة صعبًا كما كان!

الطريق مزدحم مما تسبب في تأخيري.. سارعتُ بأخذ حمام ساخن وكافأت نفسي بعده بسندوتشات طازجة وساخنة كنتُ أشتاق لها.

ارتفع صوت إقامة الصلاة من المسجد المجاور.. رقّ قلبي لصوت المؤذن وهو يصدح الله أكبر فحمدتُ الله كوني مستعدًا الآن. لم يطل الإمام في الصلاة فوددت أن أشكره.

كنتُ في حاجة لهذه الرحلة الصباحية بعيدًا عن جو القناة والمدينة كلها، ارتفع صوت السائق في الموقف وهو يبحث عن زبائنه ببسالة.. لا يسمح لأحد بالاقتراب منهم حتى اكتمل العدد المنشود وأنعم الله عليه بتحقيق أمنيته فتلذذ بأخر قطرات كوب الشاي في يده قبل أن يبدأ رحلته.

"عصام" يتصل من جديد..

لو طلبتُ من السائق أن يخفض الصوت لتشاجرنا ولفقدت متعة هذا الصباح المنعشة ففضلت أن أصب لعناتي على "عصام":

-حركة زي دي أمشيك فيها وانت عارف.

-أحمد حسان" مش هيلعب كورة تاني...

شلّتني المفاجأة تمامًا.. تربطني بأحمد صداقة منذ حوالي عامين.. أصنفه من أفضل من قابلتهم في حياتي.. شيء كهذا كفيل بالقضاء عليه في لحظات.. لقد كنتُ بجانبه بعد الإصابة حتى أثناء سفره لألمانيا لإجراء الجراحة..

-يا ريس أنت سامعني؟

-عرفت ازاي؟

حدثني عن قضاء الليلة مع واحدة الممرضات التي تشرف على علاجه في المستشفى وأقسم لي أنه وحده من يستأثر بهذا الخبر.

أنهيت المكالمة منزعجًا للغاية.. طلبت من السائق النزول بسرعة.. أوقفتُ تاكسي في الحال كي أذهب إليه!

ما أقوم به مخاطرة غير محسوبة فالعودة من التجمع للمدينة في هذا الوقت من اليوم هو انتحار مؤكد.. لم أكترث! صعدتُ إلى غرفته.. صادفتني تلك الممرضة التي وصفها لي "عصام". عرفتها منذ أول وهلة فمن الواضح أن الوقت لم يسعفها لترتيب ملابسها حتى.

طرقتُ الباب وأنا خائف..

حرصتُ على إغلاق هاتفي قبل الدخول رغم عواقب ذلك!

فقط تركت الهاتف الصغير علي الوضع الصامت كأمل أخير أتسلح به للحاق بأي كارثة قد تحل بي وأنا بعيد بمسافة هائلة.

فتح لي الباب بنفسه.

كنتُ أفضل أن يقوم أحدهم بغرس سكين حاد في قلبي بدلًا من أن أراه بهذا الوجه!

-والله العظيم أنا جاي أطمن عليك.

واحتضنته دون كلمة إضافية.. كنتُ خائفًا من أن يسئ فهم مجيئي إلى هنا.. سألته بقلق عن وجهته.. آلمني بقوله أنه لا فائدة من الانتظار في المستشفى. بإمكانه أن يتابع العلاج الطبيعي في أي وقت.

فقط ثلاثة أشهر كانت تفصله عن تمثيل المنتخب في بطولة كأس الأمم الإفريقية والتي ستقام على أرضنا.. الحلم الذي طال انتظاره..

أعلم ما الذي تعنيه كرة القدم له! ناولته العكاز وهو يترنح وسألته بقلق جم إن كان الطبيب قد سمح بخروجه أم لا فاكتفى بهز رأسه وإن كلفه ذلك الكثير.

الهاتف يرن وكأنه يختار التوقيت الأصعب!

رسالة من "أيمن الشاذلي" علي الرغم من عدم معرفته لهذا الرقم أو هذا ما كنتُ أحسبه.. لا وقت للتفكير الآن.

"عصام" القذر أخبره لذلك هو يتساءل عن عدم إذاعة الخبر إلى الآن.. اضطررتُ للكذب ورأسي يكاد ينفجر.. عليَّ أولًا أن ألقن "عصام" الدرس قاسيًا وأن أريح "أيمن" وهو الأهم.

أوصلتُ أحمد لسيارته.

احتضنته من جديد ورجوته أن يسمح لي بمكالمته للاطمئنان عليه وزيارته إن أهداني العمل فسحة من الوقت.. أقسمتُ له مجددًا أنه لا دخل لعملي في القناة بهذا الأمر فعلّق بهدوء أنّ الأمر لم يعد يعنيه.

صعدت مهرولًا للطبيب الذي بدا متعاطفًا معه للغاية وإن أكد لي صحة الخبر ونصحني بصفتي أحد أقاربه بوجوب عرضه على استشاري نفسي من الآن كي لا تتفاقم الأمور أكثر من ذلك وأكد على تفهم والدته لهذا الأمر.. العجيب أني لم أرها ولو لمرة منذ إصابته!

عدتُ أدراجي للقناة وغُصة في حلقي تأبى أن تدعه بسلام.. بعث "أحمد" لي برسالة نصية قصيرة أنه وصل للمنزل.. شكرته من أعماق قلبي على إرسالها.

تمت إذاعة الخبر كي يهدأ "أيمن" وأمسكتُ قلمي بعنف واكتفيتُ بتكرار اسم "عصام" علي الورقة التي صادفتني فور دخولي.

توضأت من جديد.. قمتُ لأداء الصلاة.. شعرتُ أني أزيح بها عن كاهلي الكثير.

عدتُ لأباشر العمل ولازال ذهني مشغولًا. لعلها المرة الأولى التي لله لا أمر فيها على البوفيه وغرفة المكياج وحتى دورات المياه كما عودتهم يوميًا في القناة لأتأكد أن الأمور تسير على أكمل وجه.

فاجأني عم "أمين" بصوته المميز:

-مبروك يا ابني.

كغريق يائس كاد يغمض عينيه وسكنت يداه استعدادًا للقاء قدره وصادفته قشة صغيرة منحته الأمل من جديد!

احتضنته بقوة واصطحبته لخارج القناة في الهواء كي نبتعد عن هذا الجو الخانق.. نبهوني أنها السابعة إلا ربع ودقائق ويبدأ البرنامج فاضطررتُ للانتظار وأنا ألعنهم جميعًا وطلبت منه أن ينتظرني.

انتهت أول فقرة بأعجوبة.. لم أنتبه لأي كلمة قالوها.. فقط أدركت أن هناك خمسة عشر دقيقة فقط هي مدة الفاصل التي يمكنني فيها الجلوس معه!

-مالك يا ابني؟ قلقتني.

لم يكن من السهل الإجابة على هذا السؤال.. ناهيك عن قلقي المتزايد من مرور الوقت قبل أن أبوح له عمّا بداخلي ويا لعواقب ذلك.

زفرتُ تنهيدة حارة شعرتُ بوخزها بين ضلوعي ثم انفجرتُ في وجهه.. ملامح "أحمد" وذلك القهر في عينيه.. علاقته الحساسة جدًا بالكرة.. اضطراري للتعامل مع الموضوع كأي خبر لا بد من نشره ومتابعته خاصةً بعد توبيخ أحد المسئولين لي هنا.

-أنا حاسس بيك بس المسؤول ده هو اللي جابك هنا و. ...

قاطعته. أعلم كيف سيكمل عبارته تلك! حاول مشكورًا بعدها أن يُهون الأمر وإن تملّك الارتياب لهجته وهو يسأل إن كان حزني على مصير "أحمد"

فقط هو السبب في حالتي هذه؟

لم أسمح له بفعل ذلك فأردفتُ في أسى:

-ربنا ما يحرم حد من حاجة بيحبها.

بدأ الهدوء يتسلل إلي على استحياء.. ربما لو كان عم "أمين" قد استمر في ضغطه علي لانفجرتُ بالفعل وقصصتُ عليه كل ما حدث.. مما يعني هلاكي الحتمي مهما كانت ثقتي به!

نجح في تحويل دفة الحديث بعد ذلك بانتقاله لأسرة اللاعب المعروفة والتي لن تسمح بكل تأكيد بضياع مستقبل ابنهم فعبرتُ بصدق أني أتمنى ذلك ولم أصارحه بباقي مخاوفي..

نظرتُ لساعتي مرغمًا..

ابتسمت لي العقارب لتسري طمأنينة جديدة في قلبي.. لازال أمامي بعض الدقائق اقتنصتهم للسؤال عن تداعيات مرض ابنه وكيف حاله الان.

-بجد مش عايز فلوس؟ والله بتعب فيهم.

-عارف يا "سليمان".. أهو مبلغ كويس صرفته انهاردة كتير خيرهم. وربك هو الشافي.

سألته الدعاء لي أيضًا..

-عنيا.. بس أنا مش عايز أشوفك كده.

شدّ على يدي ودخلنا سويًا.. انهمك في تحضير القهوة.. تأملتُ تجاعيد هذا الرجل الخمسيني التي تثبت أن الحياة لم ترأف به يومًا.

تكفلت أول رشفة من قهوته بتغيير حالتي المزاجية.. نجح في ذلك بالفعل!

-مش أنا جبت السنيورة هنا امبارح.

تهللت أساريره فأردفت مسرعًا:هي وجوزها.. ده حتى قالي إن المدام حامل.

-اتفضل بقى.

هل كان على حق أن شعورها بالندم مؤكد الآن خاصةً بعد منصبي الجديد؟ أكره تلك اللحظات التي نعجز فيها عن الإجابة عن أسئلة قد تبدو بديهية لنتركها تعبث بنا كما تشاء!

دقت ساعة الرحيل.. تقبل الأموال شاكرًا ورجوته مجددًا ألا ينساني.. قمتُ بإيصاله لسيارة المدينة.

هذه الملامح ليست غريبة علَي.. فركتُ عيناي جيدًا. إن خانني الوجه الشاحب فها هي نبرة الصوت تثبت لي أنها "علا".. حضرت لإنهاء الإجراءات القانونية واستلام متعلقاتها من القناة كي تبدأ طريقها لقريتها من جديد.

صدقًا تمنيتُ أن يكون ذهابها بلا عودة.. خاصةً بعدما أخفت شعرها مجددًا..ابتسمتُ لهم ولعم "أشرف" السائق مودعًا.. وابتلعتني القناة من جديد.

# أحمد حسان

## 21 يونيو..2019

أطلتُ النظر إلى وجهها الملائكي وقد غلبها النعاس رغمًا عنها.

سيكون وجودنا في المطار مفاجأة سارة لها عندما تستيقظ.. لولا رغبتها الصادقة لما جئت إلى هنا!

لازال هناك وقت كاف قبل موعد الوصول.

رنّ هاتفها..

كيف أخبرها أنّي إلى الآن أغار من اسم المتصل.. لا ذنب لها في ذلك.

انتبهت إلى صوت الهاتف وأجابت برقة:

-"شريف" وحشتني يا حبيبي.

العديد من الأسئلة للاطمئنان على صحته.. لكل سؤال وقع مختلف يساهم في زيادة هذا الثقل في قلبي.

أنهت المكالمة بعد سيل من الدعوات نادرًا ما تسمعها أذناي..

ابتسمت لتكشف عن حبات اللؤلؤ في ثغرها:

-"شريف" قالي صحابك ملعبوش كويس النهاردة.

انفعلتُ موضحًا الأسباب..

لا يبدو لي أني نجحت في إيصال الفكرة لها.. فاختتمت بأنّ اقتناصنا لنقاط المباراة الثلاث هو الأهم خاصةً أنها كانت المباراة الافتتاحية.

ابتسمت بفرح حقيقي فور انتهائي تمامًا كما فعلت عندما أطلق الحكم صافرته معلنة للمرة الألف أنها لن تحب كرة القدم في يوم من الأيام..

ومع ذلك كان للقدر رأي مختلف!

أتذكر تلك اللحظة في المستشفى.. على الرغم من هذه الحدة في أسلوبها فاجأتها بقولي:

-"نور" تتجوزيني.

لولا اعتزالها بعد حادث "شريف" لقلتُ أنّ ما حدث لا يتعدى كونه مشهدًا سينمائيًا!

نظرت حولها.. سألتني بسعادة حقيقية:

احنا في المطار؟

شكرتني بقبلة حارة.. ألهذه الدرجة؟

أشارت إلى أن هناك حوالي النصف ساعة تفصلنا عن وصول الطائرة ستستغلها في محاولة النوم مرة أخرى.. ذكرتني بتحملها قضاء كل هذا الوقت في الاستاد.. حفل الافتتاح والمباراة الأولى وانتهاءً بمواجهتنا أمام زيمبابوي والتي بدأت في العاشرة.

أجبتها بتحد كوني على دراية أنها كانت تستطيع العمل لمدة تصل إلى عشرين ساعة متواصلة دون راحة حتى يعلن المخرج انتهاء التصوير.

فقالت بهدوء:

-كانت فترة.. إن شاء الله مترجعش تاني.

وطلبت مني أن أوقظها فور وصول أمي بسلام لاستقبالها..

تلذذت الكلمة بتعذيبي.

محاولة جديدة للهرب.. لم لا أستغل مستوانا في مباراة اليوم كذريعة ملائمة. ولكن هيهات!

لي بالفعل ملاحظات على الدفاع.. سأقولها لعمر غدًا.

عقارب الساعة تشير إلى أنهم قد فرغوا من حديثهم مع الإعلاميين في الميكسد زون وهم في طريقهم للفندق الآن.

يداعبني الحنين بقسوة اعتدتها في الفترة الماضية عن ذكريات اقتسامي للغرفة مع "عمر" دومًا وسيل الشتائم التي كنتُ أصبها فوق رأسه كي يكف عن مراقبة أخبار السوشيال ميديا بعد المباراة..

-دي لعنة يا عم سيبك منها.

تصله مكالمة تلك الفتاة ثم يطمئن على والدته وينام فأصرخ أنه أخيرًا سيطفئ نور الغرفة كي يتسنى لي النوم استعدادًا لتمرين الغد. وأظل أتقلب في

فراشي أتوسل للنوم أن يتمكن مني وأتساءل متى سأنعم بسبات عميق أكافئ به جسدي المنهك وروحي المهترئة.

لعل إصراري على اقتسام الغرفة مع "عمر" دومًا في أي معسكر كان ومهما اختلف الإداري معنا هي تلك اللحظات القلائل التي كنتُ أهنأ فيها بالحديث مع والدته..

-أنا هقوم أصلي أهو وأدعيلكو يا ابني.

أغلب الظن أنها لا تجيد القراءة والكتابة وإن أخبرني"عمر" أنها تحفظ القرآن الكريم كاملًا.

صوت دعواتها الطيبة كانت خير مؤنس لي وملاذي الأوحد..

والدة ذلك اللاعب الناشئ هي الأخرى وسلامها الحار في كل مرة نلتقي فيها بعد التمرين لتخبرني أنّها تحلم باليوم الذي ترى فيه "معتز" مثلي.. كنتُ أكتفي بتحيتهم وتشجيع اللاعب الموهوب بالفعل وأشكر والدته على شعورها الطيب وأهرب للجيم بأسرع ما لدي.

وكأنّي كنتُ أصب غضبي علي مقود البنزين في السيارة..

الغريب أني حينما صدمتُ "شريف" كانت المرة الوحيدة التي أسير فيها على مهل!

ذلك اليوم..

بداية معسكر المنتخب استعدادًا لبطولة كأس الأمم الإفريقية. وجدتُ نفسي في الطريق للملعب دون وعي أرقب دخول زملائي من بعيد.. لم أشأ أن أكون بجانبهم في هذه اللحظات.. أمرني عجزي بالاكتفاء بالمراقبة.

حتى عندما سألتني "نور" مساء اليوم عن سبب رفضي النزول للملعب المباراة تحية للجماهير المتواجدة كما فعل "حسني".

أجبتها ببساطة:

-هو راجع.. أنا لا.

رسالة جديدة علي الواتساب.

"سليمان" يثبت لي مجددًا أنه جدير بثقتي.. لم ينس في غمرة انشغاله أن يطمئن عليّ ويبارك الزفاف السعيد.

هل أخبره بذلك الصحفي القذر الذي تجاهلني اليوم عندما التقت أعيننا في الاستاد.. على الرغم من الصداع الحاد الذي كان يصيبني به قبيل كل مباراة بأسئلته السخيفة.

ذكرتني إشعارات الهاتف أني لم أرد بعد على رسالة الطبيب التي يهنئنا فيها بالزواج وأنه كان على حق حينما توقع أن شجاراتنا المستمرة في المستشفى ستسفر عن شيء ما وها قد صدق حدسه.

ماذا عن هذه الرسالة؟! استوقفني للحظات..

لولا هذا الحادث لما احتفظت بهذا الرقم في قائمتي (سيادة اللوا)!

انتفاضته في المستشفى وتفاوضه الحذر والعاجل مع "طارق" شقيقهم الأكبر أصابوني بالدهشة.

الشعور ذاته الذي اعتراني بعد قراءة رسالته.. فأجبته بكلمة واحدة:

-لسه.

طمأنتُ "سليمان" كذلك وشكرتُ الطبيب الذي كلّفني بإرسال التحيات الحارة لشريف والدكتورة.

الدكتورة..

ذلك اليوم منذ أعوام مضت..

ظللتُ في انتظار عودتها والقلق يعصف بي كما يحلو له! كنتُ أتساءل ما الذي ستفعله؟ هل قامت بإخبار أبي؟؟

مواعيد عودته كانت ثابتة أما هي فلا..

صوت سيارته.. جاهدتُ للوصول لحجة ملائمة للموقف واهتديتُ أخيرًا بأن أعده بأنني لن أكرر ما فعلت مجددًا كوني أشعر بذنب حقيقي حيال ما اقترفته.

انتظرت قدومه حتى مللت.. وجدتُ أن التفسير الوحيد أنها لم تخبره!

احتمال أخر راودني وأثلج صدري.. أنها آثرت نصحي بنفسها تجنبًا لانفعال زائد من ناحيته..

ازدادت حدة الأمر وكادت لعنة الانتظار تخنقني فلا أحد يعلم متى تنتهي قائمة مرضاها! استمر الملل في التهامي حتى أني فكرت في مشاهدة فيلم آخر.

كنتُ أعلم أني كاذب في الوعد الذي اجتهدت في التدرب عليه لألقيه على مسامعهم.. "باسم" أعطاني الكثير من الأفلام وفي مشاهدة هؤلاء الأبطال متعة لا توصف.

هي التي فتحت الباب بشكل مفاجئ.. لم يكن وجودها في المنزل ملحوظًا كالعادة وعلّقت بصوت لم أنسه إلى الآن:

-كده يا "أحمد"؟

احتميتُ بالغطاء كرد فعل طبيعي لاقتحامها.. لم أستطع النظر في عينيها! كنتُ أتصبب عرقًا وشعوري بالخجل لا يوصف.

وعدتني أننا سنتحدث في الأمر في وقت لاحق فهي متعبة بعد يوم طويل في الكلية ومناقشة موضوع بحثي هام.

هرولتُ إلى حمام غرفتي منتشيًا بهذا الوعد..

نسيتُ ما قمتُ به وتجاهلت تمامًا ذلك الثور الذي كاد يصيبني بعقدة مزمنة وخوف على مستقبلي.. لا بد أن أكون مثله في يوم من الأيام وإن بدت مسألة صعبة فقد تفوق علي جميع من رأيتهم قبلًا. كنتُ ألهث وراءه.. أفكر في

هذه المسكينة وصراخها من المؤكد أنه قد تمت مكافأتها بسخاء وهي تستحق بالفعل.

لأطلب من "باسم" فيما بعد كل أعماله البطولية!

أما الآن فلن أسمح لسعادتي الخاصة باهتمامها تذهب سدى سأنتظر ذلك الوقت الذي تُعنفني به عما قمت به وربما تصفعني ستجدني أستقبل ذلك بالترحاب والاشتياق.

آه يا أمي..

ألم يحن الوقت بعد؟

ثلاثة أشهر وأحتفل بعيد ميلادي الرابع والعشرين ولم تجدي وقتًا كافيًا إلى الآن؟

لا أدري لولا نصيحة كابتن "هاني" لي بالكف عن ممارسة تلك العادة اللعينة كي لا تؤثر على أدائي في التمرين.. هذا إن أردت بالفعل أن أكون لاعب كرة قدم محترف كما صارحته لكيف آلت الأمور.

الفضل له بكل تأكيد!

حتى قراري بالرحيل عن المنزل بعد تلك الواقعة..

أتساءل كيف حال "منال" الآن؟ التجربة الأولى كانت معها..خبرتها تستحق جائزة!

كنتُ في الثامنة عشر لو أسعفتني ذاكرتي المنهكة.. ما أتذكره جيدًا أني أخبرتها بأنفاس متسارعة فور انتهائنا أني سأطلب من والدي زيادة مرتبها نظير مجهودها الإضافي في المنزل. ضحكت بصوت عال فصرختُ بحزم أن تصمت كي لا يُفضح أمرنا!

فضحكت من جديد قائلة:

-هو فيه حد هنا؟!

ضحكتُ أنا الآخر وأعدنا الكَرّة مجددًا بذهن مشتت قليلاً حتي أنها لاحظت ذلك وحاولت استمالتي.. ربما فسرت أن صغر سني وقلة خبرتي هما السبب في ذلك!

كنتُ مشغولًا بالفعل.. كيف لا وقد ذكرتني أن احتمالية الحياة على كوكب آخر أسهل من معرفة أبي أو أمي طريق غرفتي في هذا المنزل الكبير.

أشك إلى الآن أن أبي يعرف كيف يصل لغرفتي دون أن تضل قدماه الطريق.. لسنا في المديرية كي يحفظها عن ظهر قلب.

تدخلت عناية الله بعد ذلك لترأف بي.. قمتُ بتوقيع العقود مع إدارة النادي وأخبرتهم بتركي للمنزل كي أسافر مع الفريق.

كانت أول زيارة لي للأراضي المقدسة وأدائي لمناسك العمرة بمثابة هدية الله عز وجل.. استغفرتُ الله وسألته العفو وأن يشملني برحمته.. ألا يردني إلى هذا الطريق من جديد.

لم أشعر بدموعي التي انهمرت وأنا أقرأ قوله تعالى في سورة يوسف..

بسم الله الرحمن الرحيم

*(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)*

احتضنني حينها أحد الجالسين بجانبي دون أن نتحدث وقام بإعطائي تمرة لا تزال حلاوتها في فمي إلى الآن.

فوجئتُ بترحيب "نور" بقرار استبدالنا رحلة أوروبا بعمرة فكلانا يحتاج إليها بشدة خاصَّة بعد عودتها للحجاب.

في هذا اليوم صليتُ من جديد وهمست أثناء سجودي بكل ما يحويه قلبي.. فالأب الفاضل العميد الشهير إن لم أخطئ رتبته في هذا التوقيت هو الذي أحضرها للمنزل لنقضي أغلب الوقت بمفردنا.. هل كان يستغل غياب أمي ليذهب إلى غرفتها.. أشك في ذلك فمن أين له بالوقت؟

لولا الشبه الواضح في ملامحنا لقلتُ أنهم قاموا بإحضاري من أحد الملاجئ القريبة من المنزل فطيلة الوقت الذي قضيته معهم في المنزل لم أرهما سويًا ولو لمرة!

حتى عندما أخبرتهم بقرار الرحيل تحدثت مع كلٍ منهم على حدة.. لم تعلق أمي كثيرًا على الجامعة وكيف سأنجح في الجمع بين الأمرين.. كادت

تذكر تحفظها على بعد المسافة وإن منعتها حالة السيدة الحرجة وجنينها فهرولت إليهم على الفور وتركتني في انتظار عودة والدي كي يعلم هو الأخر.

لم يكن بمفرده..

حضر برفقة أحد الظباط وأطالوا الجلوس في مكتبه للحديث عن دورية جديدة فحزمتُ حقائبي ورحلت.

الحق أنه حادثني مرة بعدها وقد فسرتُ الأمر أنه أخطأ في الاتصال ولم يشعر إلا بعد سماع صوتي..

مواجهة ذلك اليوم لم تستغرق وقتاً على العكس من نظيرتها عندما أخبرتهم قراري الزواج.

اعتراضاتهم كان بعضها متوقعًا بالنسبة لي.

تكبرك بعامين..لازال عملها السابق كممثلة يقلقهم لا أدري لماذا فقد أعلنت اعتزالها النهائي.. ربما تخوفوا عودتها في يوم من الأيام!

أعلنتها أمامهم بتحد أنها فقط مسألة وقت وقد اتفقنا على كل شيء وبإمكانهم حضور عقد القران إن أرادوا..

لم تكن "نور" قد وافقت بعد.. كانت تعيد التفكير كما أخبرتني خاصّة أنّ الأحداث قد تلاحقت بسرعة.. حتى أني لم أكن فاتحت شقيقها الأكبر "طارق" من الأساس.

لم أكن قلقًا من موافقة "شريف".. على النقيض موقف "طارق" كان يؤرقني ولكن رغبتي في الظفر بها كانت أشد.

كنتُ على يقين أني في حاجة لهذا الشعور! يكفيني ما حُرمت منه طيلة أعوام..

رسالة جديدة من الرقم الغير مسجل إلى الآن.. حتى الصورة التي اختارتها كخلفية للواتس آب.. التقطوها لها أثناء مناقشة رسالة علمية!

لا يسنح وقتها ببضع ثوان تبتسم فيها للكاميرا بدلًا من الاقتضاب وهذه الملامح الجادة..

أيقظتُ "نور" برقة:

-يلا يا حبيبتي.. هي وصلت.

فلم تكن كلمة (ماما) بهذه السهولة التي تُمكنني من التفوه بها رغم محاولات "نور" المستميتة لاثنائي عن ذلك دون أي استجابة مني.. رغمًا عني.

# الدكتور..

**21 يونيو 2019 م**

انتهيتُ من فحص ذراع الصبي وطمأنته مجددًا لتذهب كلماتي سدى فدموعه لم تتوقف بعد!

قمتُ لإحضار بعض المعدات وأنا ألعن "سمية" فيبدو أن طريقتها المفزعة لن تتغير.. ذلك الهلع الذي يفترس وجهها بشراهة ويأبى أن يبرحه مع صوت صراخها:

-الحق يا دكتور.. إزاز تاني.

حسبته أحد المنتحرين الجدد.. عددهم مستمر في التصاعد هذه الفترة!

الجراحة التي نحاول بها إسعافهم قد تستمر لأكثر من سبع ساعات.. هذا ما تحدده خطورة كل حالة وهل تمكنت حدة الزجاج أو السكين من أعصاب اليد أم اكتفت بتمزيق الأوتار والشريان الكعبري.. ينتهي الفريق الطبي من عملهم المضني ويتركون الممرضات للإسراع بتحضير الجبس لليد بعد ثنيها..

نتركها على هذا الحال شهر ونصف تقريبًا قبل أن يبدأ المريض مشواره الجديد مع العلاج الطبيعي آملًا أن تعود كما كانت..

كثيرًا ما تساءلت إن كانت هذه الرحلة الطويلة لحكمة من الله عز وجل كي ينشغل الشخص بتداعيات حالته وجلسات العلاج بدلًا من التفكير من جديد في الأمر الذي دفعه للإقدام على قرار كهذا!

لم أشأ أن أتأخر على الصبي.. جرح بسيط في الرسغ.. الخياطة ستعطلني عن متابعة تحليل الاستوديو التحليلي للمباراة ولكن لا بأس.

طالبته أن يتحلى بالشجاعة كأي رجل ننتظر منه الكثير.

لم يرق لي تجهم والده وانزعاجه المبالغ فيه.. فحاولتُ التخفيف عنه وليتني لم أفعل!

ألم أعاهد نفسي أن أستمع لنصيحة "يحيى" واستراتيجيته النظيفة مع الدكتورة "إيمان" دون الأخذ بأي من سياستها الأخرى معًا..

جاء رد الوالد كصدمة لم أكن مستعدًا بالقدر الكافي لتلقيها..

-الباشا عايز يطلع لاعيب كورة.. فرح النهاردة لما جبنا الجول وخبط على الإزاز.

تجهمتُ للحظات.

انتهيتُ من عملي بعد جهد كبير لا يتناسب على الإطلاق مع ما تقتضيه إصابة الطفل! لو كان الأمر بيدي لطلبتُ من أحدهم أن يكمل ما بدأته كي أسارع بالابتعاد عن هذا المشهد السخيف.

فكرتُ في قضاء الليل في المستشفى.. وجدتها وسيلة مناسبة للاحتماء من المنزل. لا مفر من التحجج مجددًا بضغط العمل.

هذه العروس المسكينة لا ذنب لها!

لا أملك محاسبة المذنب فقد انتقل إلى رحمة الله وجُلبتِ هنا بلا رحمة..

هل يدوم صبر "فريدة"؟ أشك في ذلك.

أتذكر تلك الليلة جيدًا.. كأنها البارحة.

خانتها فيها قدرتها على المقاومة.. ثارت في وجهي ولم أقو على توجيه اللوم، فقط طلبت منها أن تخفض صوتها كي لا تستيقظ أمي.

اكتفت بنظراتها الحادة التي رمقتني بها.

ظلت تتقلب بجواري تتوسل للنوم أن يرحمها.. شاركتها بصدق في توسلاتها.. بكل ما أملك!

جاءتني النجدة متسللة في صوت تنفسها المنتظم. سارعتُ بابتلاع حبتين من تلك الحبوب اللعينة علّ الجرعة الزائدة تشفع لي هذه المرة.

لم يدم انتصاري عليه طويلًا.

خمسة أشهر مقابل سبعة وعشرين عام مقارنة تبعث على الضحك بمرارة.

ارتفع صوت الشيخ "يعقوب" الدافئ. رافقني صوته في آذان الفجر لسنوات، لذا أحرص على الحضور لزيارة أمي كلما سنحت الظروف.. على الرغم من هذه الوساوس التي تتربص بي في كل ركن من أركان هذا المنزل.

انتهيتُ من الصلاة.

قمتُ متوجهًا لغرفتي.. تأملت وجه "فريدة" وعلامات الحزن التي تأبى أن تبرحه حتى في نومها لتذكرني بمرارة جديدة وكأني لم أكتف بما أكابده!

هل أخطأت حينما قررت الزواج؟

أظن أن امتناعي عن الدواء طيلة الفترة الماضية يُفند هذه الهواجس.

بيد لي أن لعنة إصابة "أحمد" لن تشمله وحده فسيكون لي النصيب الأكبر..

شعرتُ بخطوات أمي المتباطئة..

يداها ترتعشان وهي تطرق الباب كأنها تود ألا نستيقظ! انتفضتُ مذعورًا فطمأنتني بابتسامتها الصافية أن مكروهًا لم يتمكن منها.

-ما تيجي تشرب شاي قبل ما تنام.

الشاي هو السلاح المفضل لها.. تراه وسيلة مناسبة للهرب أو هكذا تظن! حتى في خلافات أختي المستمرة مع زوجها. تدعوهما أولًا لشرب الشاي ثم تستمع لكل منهما وهو يبث شكواه.

-هحط معلقة ونص سكر بس أهو عشان متزعلش يا دكتور.

-بحاول أقنع "فريدة" هي كمان بتقليل السكر بس غالبًا مسألة تعود.

تهللت أساريرها!

يبدو أني ألهمتها بغير قصد.. حتى أنها كانت تسقط الكوب من يدها بدلًا من وضعه على الطاولة.

انتابني القلق من جديد. سألتها بصدق عمّا يضمره قلبها.. بدا جليًا أن هناك ما تخشى قوله. لم أعتد أبدًا هذا الأسلوب مع أمي.. طالما كانت ملاذي الدائم في هذا المنزل.

على الرغم من صمتها الذي كان يثيرني في كثير من الأحيان! ستظل محاولاتها في التخفيف عني كافية.. مطالبتها المستمرة لي بالجلد..

-أنا سمعت مراتك من شوية.

منذ الخطبة وأمي تتعمد مناداة "فريدة" بهذا اللقب.. لم أسمعها يومًا تناديها باسمها! ربما لأني كنتُ صريحًا بما فيه الكفاية.

ما كان يعنيني بهذا الزواج هو شعوري ولأول مرة أني مسئول بالقدر الكافي.. نشوة الآمر الناهي الذي يتخذ قراره الأول في حياته بحريته الكاملة دون تدخل من أحد.

سعادة "فريدة" وأسرتها بالطبيب الشاب الناجح المستقيم سهّلت الأمور للغاية!

لم تتوقف أمي كثيرًا عند هذا التحول المفاجئ.. تكلفتُ عناء الشرح لها ولشقيقتي حتى أني. ...

-سرحت في إيه يا ابني؟

نادرًا ما تتنازل أمي عن لقب (دكتور) في أحاديثنا.. فكرتُ سريعًا في المجازفة. هل أفتح هذا الملف الشائك مجددًا؟!

-يا ابني صارحني.. طب اسأل حد من زمايلك الدكاترة أكيد عندهم حل.

حدقتُ في وجهها بذهول.

لقد كانت من أشد الرافضين لهذا المبدأ.. كثيرًا ما حذرتني، حتى عندما صارحتها في يومي الأول في المستشفى أني ضقتُ بهذا الدور السخيف وهذه الأغلال حول رقبتي وأفكر في الاستعانة بأحد الأطباء النفسيين كادت تسقط مغشيًا عليها..

لم تهدأ إلا بعدما أقسمت لها أنني لن أقدم على خطوة كهذه خوفًا من عواقبها.. فقط أخفيت عليها الحبوب المهدئة التي أتناولها استجابة لنصيحة أحد أصدقائي.

تساءلت إن كان صراخ "فريدة" هو الذي نبهها أن حالتي قد ساءت من جديد وبإمكاني العدول عن القسم الآن.

-طب والفضيحة يا أمي؟ وكلامك عن. ..

قاطعتني بحزم.. ضمتني لصدرها بحنان.. شرعت في البكاء.. بكت كأنها لم تبك قبلًا!

آلمتني دموعها..

كونها ولأول مرة تبكي حزنًا على حالي. لا أعلم إن كانت تدعي القوة أمامي كي لا أجزع مثلما تنصحني دومًا أم أنني أبالغ بالفعل والأمور لا تستحق هذه المعاناة..

هل أحتاج فقط للتخلص من السخط الذي يؤرقني كما تنهل علّي التعليقات فور كتابتي لأي منشور من هذا الحساب المزيف.

أستطيع أن أتفهم من تجاهلوا كل ما كتبت واستمروا في الدعاء لوالدي هذا الرجل الصالح.. حتى من وبخوني على اتهاماتي له.. كيف لا وهم ينادوني بالدكتور مثلما تفعل أمي.

أما عن هؤلاء الذين سخروا من الأمر.. بالغوا في تهكمهم وأشاروا لأصدقائهم في التعليقات كي يضحكوا على مشكلتي الساذجة التي لا تضاهي معانتهم فلعناتي عليهم لم تتوقف إلى الآن!

ينتهي الأمر كالعادة بحذف المنشور بعصبية زائدة وشعوري من جديد بمداهمة شبح التلعثم وهو ينقض على لساني لينتهكه كما يشاء لأعلن عن انتهاء رحلة بحث جديدة غير موفقة عن قلة ما تشعر بما يؤرقني.

توقفت أمي أخيرًا عن البكاء.

على الأقل طمأنتني أنها لا زالت تفهمني!

آه لو يدرك "أحمد" أن حضوره للمستشفى صباح اليوم برفقة زملائه اللاعبين سيتسبب في هذه الليلة العصيبة.. لن أكون قاسيًا معه إلى هذا الحد.. ربما أقص عليه الحكاية من أولها في يوم من الأيام.

كدتُ أخبر أمي بأمر إصابته التي سترغمه على الاعتزال. ..

-روح لدكتور الأول يا ابني.. مراتك بتدور على حقها. أكيد فيه حل أدوية بقى أو أعشاب مقوية من العطار أي حاجة.

-يا أمي "فريدة" كانت بتتكلم عن حاجة تانية.

لاحت بوجهها بعيدًا، خُيّل لها أني أحاول إخفاء عجزي بحجج واهية.

وجدتُ حينها في إخباري لها أني سأتجه من فوري لأكبر استشاري أمراض الذكورة وسيلة ملائمة كي تهدأ وقد كنتُ على حق!

لم يشرب أحدنا من أكواب الشاي..

طبعتُ قبلة فوق جبينها ونبهني صوت الشيخ محمد رفعت أنها تمام السابعة فسارعتُ بارتداء ملابسي ونوبة حادة من الضحك تكاد تفتك بي لا يحول بينها سوى الخوف من أن تنعتني أمي بالمجنون وهو اتهام جديد لن يقل خطورة عن سابقيه.

كيف فسرت الأمور كونه عجز جنسي؟

كيف اقتنعت بهذه السهولة أن بإمكاننا الاستعانة بالأطباء.. أم أنها لا تعد العلاقة الزوجية أمرًا مخجلًا كزيارة الطبيب النفسي..

مرت أسابيع على مواجهتنا تلك.

خرج "أحمد" بسلام أو هكذا ظننت حتى رأيته من جديد بعدما صدم "شريف" بالسيارة التي قادها بغير وعي.

اعتذرتُ ل"فريدة" على قسوتي معها وأثلجت هي صدر أمي بالجنين الذي أذن الله لنا به وبقيتُ أنا ككل يوم أقضي الليل في غرفة الطوارئ بالمستشفي أتابع الاستوديو التحليلي عقب كل مباراة.

# شريف

21يونيو..2019

"ديسقورص" يأبى المغادرة!

تلك الفاتنة تحاول إقناعي بالبقاء.. لن يتركوني بهذه السهولة.

أعلم ما الذي سيقوم به "ديسقورص" لو صارحته بما أنتوي القيام به!

ربما ينهّل عليّ باللكمات كي يردعني.

يلجأ لفاتنته الشقراء من جديد.

أوافق على مضض وتطلق ابتسامتها المنتصرة.

أود إخبارها أن أسلحتها لم تُجدِ هذه المرة.. أو لأخبرها حتى أني لم أرها من الأساس!

أستحث الدقائق كي تمضي ليتركاني وحدي قليلًا..

أفكر في حكمة "ديسقورص".. لو لم يمنعني من ملاحقة تلك الفتاة!

ما الذي سأجنيه جراء هذا الاندفاع والأهم لماذا الآن؟

أجزاء من الثانية.. صرخة خافتة أطلقتها بخجل.. لحظات اضطرابها أثارتني.. صديقتها تحاول المساعدة بكلتا يديها.

كدتُ أنا الآخر أن أمد لها يد العون.

التفاتها الدائم والقلق الذي تسلى بالتهام عينيها الجميلتين أربكني تمامًا.

تدخل "ديسقورص" بضحكته المقيتة التي أطلقها ساخرًا بعدما امتثلتُ له ولهذه الروسية وظللنا في البار أحاول استراق النظر لمعرفة كيف تصرفت تلك الفتاة.

طمأنتني رسالة "وليد" بعض الشيء .. سيتسمر غياب "ديسقورص" فترة مناسبة لمشاهدة المباراة أستطيع أن أهنأ فيهم قليلًا.. سارعتُ إلى النافذة. لازالت هناك!

نجحتُ في الهرب من "كلارا" بأعجوبة.. أخيرًا ذهبت الشقراء الروسية في سبات عميق قضى على شكوكي في الفترة الأخيرة حول فاعلية تلك الحبوب المنومة.

عدتُ للتأمل أمام المرآة دون تدخلات خارجية هذه المرة.

بدأ الخوف يتسلل لي مرة أخرى وتكفّلت الإضاءة الخافتة حول حمام السباحة بالوقوف أمام مخاوفي بالمرصاد. الهدوء يبرهن على انشغال الجميع بمباراة الافتتاح مما يفسح لي الطريق.

فكرتُ كذلك في انخفاض وزني بهذا الشكل الملحوظ بعد الحادث الأخير.. لم أشك يومًا في براعتي في اختلاق الحجج الملائمة للوصول لما أريد.

ذقن غير حليقة لو رآها "سولي" بعد عودتي للقاهرة لانهال على "ديسقورص" ضربًا كونه سمح بهذه المهزلة التي تسئ إلى تاريخه المهني وإلى الثلاث ساعات التي يقضيها في الاعتناء بها لنكفل نجاحًا باهرًا يسحق جميع

المنافسين كما يردد "ديسقورص" دومًا..

ترددتُ بعض الشيء من علامات الإجهاد الواضحة وإن لم تمنعني من الإسراع للحاق بالفتاة دون خوف!

هذه اليد المكسورة كلفتني وقتًا إضافيًا إلى أن وصلت أخيرًا.

كيف سأبدأ؟

لا أظن أنه السؤال الأصعب.. فالبحث عن تفسير معقول لما أقوم به الآن هو المستحيل بعينه.

كانت في مكانها لم تبرحه لحسن حظي أو هذا ما ستحدده الدقائق القادمة، رجفة لذيذة سرت في جسدي.. ذكرتني بحديث "نور" الصغرى عند رؤيتها الأولى لهذا المدرس الذي عُين مؤخرًا في مدرستها.

تراجعتُ من جديد.. ما هذا العبث!

اعتدلت في جلستها.. هل تنبهت لوقوفي على بعد حوالي خمسة أمتار؟ لا أظن ذلك فهي لم تلتفت لي من الأساس. لم تعلم بعد من أكون.

شعرتُ بقيامها فهرولتُ إليها وأنا على يقين من إزعاج جميع ساكني الفندق بصوت دقات قلبي المتسارعة.. سؤال عقد لساني من جديد. هل تقبل تلك الشابة بعد التصرف العفوي الذي بدر منها اليوم الحديث مع أحد الغرباء بهذه البساطة؟

لا أظن!

-مساء الخير.. أنا "ش" . أنا "طارق عادل".. ممكن مساعدة بعد اذنك.

-خير يا أستاذ طارق؟

إجابتها المقتضبة مع نبرتها الجادة منحاني موجزًا لا يبشر على الإطلاق.. فكرتُ في اختياري لهذا الاسم! لم يكن ليُكشف أمري لو أخبرتها أني "شريف".. فالاسم وحده لا يشكل أي خطر ينبغي الحذر منه.

حتى رغبتي في الحديث معها! لا أدري لم وصفتها أني في حاجة للعون..

أطفأت هاتفها وأطالت النظر.. أدركتُ أنها في طريقها لمعرفة من أكون فجلستُ سريعًا دون الحصول على إذن منها وقد تيقنتُ أنّ الكارثة قد حلّت بالفعل ولا مانع من تواصل "ديسقورص" مع الصحفيين فيما بعد لحل الموضوع أو الوقوف دون نشره من الأساس!

تنفستُ للحظات.. انطلقتُ بعدها كسلاح ملّ من تعبئة صاحبه له بالرصاص وآن الوقت لتدخله!

-أنا شفتك.. شفت حضرتك انهاردة في البيسين...

صدقًا أخبرتها بكل ما جال بخاطري.. كيف تأثرت بما قامت به! قفزتها الغير موفقة في المياه وانزلاق غطاء رأسها الذي كانت ترتديه رغمًا عنها.. سارعت بتوتر لا يوصف. لم تلتفت لأي من العيون حولها حتى اطمأنت لإخفاء شعرها بأكمله من جديد.

لم يتجاوز هذا المشهد دقائق معدودة مما أثار دهشتها وأنا كذلك..

هزّت رأسها متعجبة.. فأردفتُ:

-أنا أختي الصغيرة لسه راجعة للحجاب تاني الحمد لله.. كنت ناوي أحكيلها الموقف ده. لو ممكن تتكلمي معاها عشان تتمسك بيه أكتر.

هل نحن في عام 2019.. هل أتممتُ عامي الثلاثين منذ أيام؟ قطعًا لا فما فعلته لا يبعث سوى على الضحك بل إنه يفوق كارثة ظهوري الأول والذي دفع "ديسقورص" الكثير للتأكد من حذفها نهائي.

طلبت مني رقم هاتفها..

يبدو أنها وافقت.. هل صدقتني؟ أم أنها شعرت بالشفقة تجاه هذا المترنح الواقف أمامها.. الأرجح أنها رغبت في رحيلي الفوري ولم تجد خير من هذه الوسيلة.

أعطتني الهاتف لأسجل الرقم.. سارعتُ بإعطائها رقمي الخاص في سابقة قد تكون الأولى.. حاولت تأمل ملامحها.. لم أكن واثقًا من صحة ما رأيت وإن خُيل لي أنها كانت تبكي..

تنبهتُ أني لم أسألها عن اسمها ولم أجرؤ على التطرق من جديد لنقطة شقيقتي.

-أسجل الرقم إيه؟

-"حنان".

-تمام هبعتلها على الواتس آب.

هل أكون سخيفًا إلى هذا الحد عندما أعد الصحفيين أني سأجيب على أسئلتهم في القريب العاجل؟ سأعيد التفكير في الأمر.

شكرتها وبداخلي عشرات الأسئلة المتصارعة.. تتردد كلمة (لماذا) في أذني لدرجة ستودي بي للصمم! لا أملك أي إجابة على هذا السؤال.

أيكون لتلك الفترة في المستشفى كل هذا الأثر؟ تفكيري في حفل الافتتاح وتواجد أحد المنافسين بدلًا مني بسبب هذا الحادث. قرابة العشرين يوم من العذاب الإجباري وليس الراحة كما كان يزعم هؤلاء الأطباء..

حديثي مع "طارق" وانفعالنا سويًا وقرار "نور" الغريب بالاعتزال والمريح بالحجاب.. زواجها السريع ورؤيتي مرة أخرى له في عقد القران وإن لم نتحدث هذه المرة!

اختياري لاسم "حنان" دونًا عن باقي الأسماء..

صعدتُ لغرفتي تحدثني نفسي عن فداحة ما قمتُ به من تصرف صبياني لا يجول برأس مراهق حتى. حمدتُ الله أنّ "كلارا" لا تزال نائمة كي أقدر لها إعادة التفكير فيما حدث.

توطدت صداقتي بهاتفي مؤخرًا خاصَّة بعد العزلة الإجبارية نتيجة الحادث! آلمتني هذه العبارة التي صادفتني للدرجة التي جعلتني أفكر أنها كُتبت لأجلي فنشرتها دون تردد: (مثل صبار حزين لا يبكي لأنه يدرك أنه لو بكى مائة عام لن يحتضنه أحد).!

# بروتس

-صاحبك اتجنن خالص.

-"وليد" أنا مسحت البوست وهشوف الحوار ده معاه.. سلام.

إنه على حق.. حالة "شريف" لا تبشر بأي خير.. على الإطلاق!

أشعر أنها المرة الأولى التي أعجز فيها عن فهم ما يدور برأسه.. لم أره قبلًا بهذا الضعف. بهذه الحيرة.

هل أخطأنا في الاتفاق مع الدكتورة "إيمان" على قضاء هذه الفترة في المستشفى رغم إمكانية خروجه في نفس يوم الحادث؟ الرقم الذي أخبرني به "وليد" يثبت أننا كنا على حق.

الرسائل التي تمطرنا بها تلك الطبيبة إلى الآن والهدايا التي لم تتوقف عن اغداقنا بها تؤكد أن فكرتها نجحت بجدارة.. زيارات الوسط بأكمله ل"شريف" ضاعفت أرصدتها!

الصور السريعة.. الأخبار التي انهالت.. دعاية غير مباشرة قادتها لنتائج لم تكن لتحلم بها.

كعادة "شريف" لم ينتبه لأي مما يدور حوله!

أتى قرار نور أيضًا كالصاعقة علينا جميعًا وهو في مقدمتنا.. تلك الغبية.

**Tabernac**

سباب الكنديين المفضل.. تعلمتُ الكثير من معاشرتي لهم خلال عامين.. وعلي أن أحذو حذوهم في التعامل مع هذه التغيرات التي لحقت به قبل أن تسوء العواقب.

هل فكر هذا المجنون بالاقتداء بشقيقته وما قامت به؟

العديد من الأفراح تم إلغائها.. يرفض الغناء بيده المكسورة تلك رغم أني لم أفهم الرابط بين الأمرين إلى الآن..

لطالما لاحظت أنه لا يكون مرتاحًا بالقدر الكافي في الأفراح باستثناء زملائه المقربين في الوسط.. كانت هذه الحالة الوحيدة!

أعلم أنه متأثر بغيابه عن حفل افتتاح البطولة. صارحني بذلك بالفعل ولكن مهما بلغ تأثره! اختياره كذلك للجونة وهذا الفندق الغريب.

استيقظ أخيرًا.

-إيه يا عم الصبار مالك؟

لم يرد.. من الواضح أنه أسرف في الشراب ليلة أمس..

انتقلتُ للحديث عن تردي حالة اللاعبين ومستواهم السيء رغم الفوز بالمباراة.. لم أجد سوى تذكيره بالعمل! أخر ما تبقي لي من حجج في جعبتي.

فسخ التعاقد الإجباري مع الاتحاد واللجنة المنظمة بعد هذا الحادث اللعين عله يفيق من هذه الغفلة!

فتش بعصبية عن علبة السجائر وفتشتُ بدوري عن أي أثر لطمأنتي أن "كلارا" قامت بواجبها خير قيام فلم أجد.

أشرتُ بحزم إلى حذف البوست وتذكيره أن هناك فريق مختص اخترناه بعناية ليكون مسئولًا عن صفحات السوشيال ميديا..

الريادة كانت لست الكل مدام "زيزي" في هذا الأمر.. يكفل لها معاونوها في هذا الصدد حفلات وأفراح تجعل من نومها أمرًا مستحيلًا وسرنا جميعًا بعدها على المنوال ذاته.

-هنرجع القاهرة إمتى يا نجم؟

-خلينا شوية.

امتثلت لأمره ولازال القلق يعصف بي.. تركته وأنا عاجز عن تفسير هذا التحول المفاجئ وألعن تلك اللحظة التي جاء فيها "طارق" المستشفى فطالما كان السبب واضطراري للسفر لن يزيد الأمر إلا تعقيدًا.

# Captain Black Dark

**Smoking Kills.**

**Smoking seriously damages your health.**

أهم بإشعال الأخرى.. أنتبه أن الأولى لاتزال أمامي.

"طارق" يقوم بذلك هو الآخر حتى لو تظاهر بالعكس..

أتذكر تحذيره الأخير في المستشفى وأخاف من عواقب الاتصال به مجددًا!

الفكرة تلوح لي ودخول "ديسقورص" يؤخر من قراري.. يخبرني بسفره المفاجئ.

ذكرى رحيل والده ولا بد من إحيائها.

الخجل يصفعني من جديد ويدعوني للمواجهة.. يذكرني بانحطاطي..

عبارة "طارق" تزيد من ضربات قلبي إلى الحد المؤلم ذاته.

-اعمل كده على الأقل عشان أبوك.

عبارتها كان لها أثر مختلف.

-أنا مش راضية يا ابني عن اللي أنت بتعمله.

آلمتني بهذه العبارة بعد الإعلان عن الألبوم الأول.. ها قد مضت خمس سنوات ولازال أثرها إلى الآن.. لم أنسها ولا أظن أني سأنجح في ذلك في يوم من الأيام.

زارتني في الحلم مؤخرًا، اكتفت بابتسامتها الهادئة وإن لم تقترب مني!

ومضة سريعة ولكنها كانت فارقة للغاية.. أتذكر أن "نور" كانت أشد المتأثرين برحيلها. لعل هذا ما دفعها للموافقة على اقتراح والديّ "أحمد" بالعيش معهم رغم اعتراض "طارق" ورغبته في استقلالهما.

عارضها بحدة قبل أن يذعن لرأيها في النهاية.. قسوة "طارق" البادية نهايتها معروفة دومًا، حتى مع نور "ابنته".. وعن قسوته معي فكلانا يعلم أني أستحقها بل أستحق ما هو أكثر!

النافذة تطمأنني أن ترشيح "سليمان" لهذا المكان كان مثاليًا.. ثلاثة أشهر تقريبًا على المهرجان.. فكرت في الحرية التي سأنعم بها اثناء غياب "ديسقورص" ولأشد ما أحتاجها.. أكثر حتى من أقراص الكالسيترون التي تذكرني بها "نور" دومًا لتساعد في التئام الكسر.

# ملك جمال..

متى نتغير؟!

بعد أن يصفعنا أحدُ الذين أعطيناهم مكانةً خاصة ومساحة آمنة.. لا نتغير وحسب بل نكبر مئة عام.

**دوستويفسكي**

لم أكن أهدد "سليمان" عندما أخبرته أن عدم موافقته على الإجازة لا تعني سوى رحيلي الفوري عن القناة دون النظر لأي اعتبارات أخرى..

أعلم أن "زينب" لن تتوان عن انتهاز هذه الفرصة وستستمر طيلة هذا الأسبوع في نصب فخاخها ليكون استقبالي حافلًا، لم ألتفت يومًا لأسلوبها ولتلك الألاعيب.

"سليمان" له دور كبير في ذلك فليس من عادته الاهتمام بهذه الثرثرة الغير مجدية.. لعله لاحظ اختلاف أدائي في الفترة الماضية لذا وافق على منحي هذه الإجازة.

ألعن هذا الضعف الذي يجعلني أتفحص هاتفي للمرة الألف لأتأكد إن كان "رامي" قد بعث برسالة جديدة أم لا.!

لم يفكر حتى في الاطمئنان على والدتي رغم تعبها الشديد مؤخرًا.. انقضت أشهر ولازالت رسالته الأخيرة بالتاريخ ذاته.

(البقاء لله يا "ملك".. ربنا يرحم الوالد ويسكنه فسيح جناته)

كيف اكتفى بهذه العبارة المبتورة كغيره من الغرباء؟

تعود هذه الأفكار لتمزقني من جديد كأنها تسعى لتأديبي بلا هوادة.. أحاول تجاهلها دون جدوى.

ألقيت الهاتف بعنف على الطاولة وأنا أسخر من هذه الإرادة العظيمة التي حذفت رقمه من قائمة الأسماء وتستطيع في الوقت ذاته كتابته في أجزاء من الثانية فهي تحفظه عن ظهر قلب.

لم هذه المراوغة الساذجة إذًا؟

ابتسمتُ رغمًا عني.. ألم تكن هذه النقطة هي أكبر مآخذي على "رامي"؟

رجوته في لقائنا الأخير أن يتخلى عن ذلك.. لأجله حتى! احترمت صراحته المهينة أو هكذا تظاهرت حرصًا على ماء وجهي وما تبقى لي من فتات كرامة كفلت لي الصمود أمامه.

ألم يكن من الأفضل أن أبكي أمامه بدلًا من حبس الدموع لتظل مرافقة لي عام كامل!

قطعًا لا.

نظرتُ إلى حمام السباحة.. ذلك الهدوء فشل في احتواء ما بداخلي حتى الآن بل جلب لي السخرية من أصدقائي عصر اليوم بعدما انزلقت قدمي.

يحيرني أمر ذلك الشاب.. بدا "طارق" هذا مذبذبًا!

هل كان صادقًا فيما قال وحديثه عن أخته وعودتها للحجاب من جديد؟ شيء ما دفعني لمحادثتها كما وعدته.

لا توجد صورة على الواتساب! فقط حرف إس بجانب الرقم وكلمة مشغول بجانبه.

بدأتُ بالكلمات ذاتها التي أقوم بها بتعريف نفسي في أي لقاء باستثناء العمر الذي قمت بحذفه مؤخرًا.

(ممكن تكونِ سمعتِ صوتي قبل كده في قناة النور.. أنا بسجل أغلب التقارير الصوتية في القناة والنشرات في الراديو.. أنا ملك جمال فويس أوفر)

سكتت للحظات قبل أن أبدأ في تسجيل مقطع صوتي جديد. طلبتُ منها أولًا أن تغفر لي نسيان اسمها وتابعت..

في الحقيقة نسيت أيضًا أن أسأل "طارق" عن سنك.. إن كنتِ تعملين أو لا إلى أخر هذه المعلومات اللازمة لمقدمة منطقية على الأقل.

أنتِ محظوظة بالفعل بشقيقك يا عزيزتي.

سأستمر في مناداتك بهذه الكلمة علّها تكسر أي حاجز قد يكون بيننا.

لا أرى أبدًا أني أهل لتقديم النصيحة ولم أحاول ذلك يومًا لذا دعيني أخبرك عن تجربتي الخاصة.

منذ اليوم الأول لي بالجامعة وأنا لا أدخر أي جهد في سبيل الوصول لما أحلم به.. عاهدتُ نفسي على ذلك وعزمتُ أن أتحدى أي عائق يعرقل مسيرتي.

شجعاني والداي بشدة.. خاصةً والدي رحمه الله. أتدركين تلك القصة التقليدية عن توريث المهن للأبناء؟ طالما رغب المهندس "جمال" أن تكمل المهندسة "ملك" المشوار من بعده وإن حال شغفي دون ذلك ومع ذلك لم يمنعني يومًا.

عملنا شديد الصعوبة يا عزيزتي. لعل صعوبته تكمن في الاحتكاك بجميع الفئات وإرغامك في أحيان كثيرة على احترامها عن غير اقتناع!

بإمكاني أن أسرد عليكِ ما تحملته لسنوات أبرزها كلمة "ملوكة" ولا أدري إلى الان من سمح لأحد بالتجاوز وباستخدام هذا اللقب السخيف ناهيك عن الجهد المبذول في وضع الحدود التي لم تصمد أمام سخافات البعض في كثير من الأحيان.

لولا والدي ودعمه الغير مشروط بل وذهابه معي للمدينة في أوقت كثيرة لانتهت الرحلة مبكرًا ولقمتُ بتوديع شغفي هذا بلا رجعة.

أحاول استخدام فنوني الصوتية كي لا يكون حديثي مملًا وإن كنت واثقة أنك تتساءلين الآن ما علاقة كل هذا بالحجاب..

لستُ من نوعية المتفاخرين هؤلاء.. لو كنتِ في الجامعة فستعلمين جيدًا من أقصد بحديثي هذا.

بمناسبة الفنون الصوتية.

كان صوتي مصدر سخرية زملائي الأوحد طيلة المرحلة الابتدائية.. خاصَّة في حصص المطالعة ظفرتُ بنصيب الأسد من تهكمهم. ذلك الذي نطلق عليه اليوم (تنمر) ومع ذلك لم أود إخبار والديّ فقد شككتُ في كذبهما! كيف لا وقد كانا يخبراني دومًا أني أمتلك صوت مميز في ترتيل القرآن الكريم وإلقاء الشعر.

في الصف الأول الاعدادي قرر والدي ذهابنا لأداء العمرة واستمرت محاولاته في شرح مناسكها لي وإن لم تلتقط أذناي سوى أن دعاءنا فور رؤية الكعبة لا يُرد فأخبرتُ الله عز وجل أني متضايقة مما تقوم به صديقاتي في المدرسة حول صوتي.

لعلك أدركتِ الآن سر المقدمة التي ذكرتها وإصراري على ذكر المهنة قبل اسمي حتى لأتذكر رحمة الله عز وجل واستجابته لدعاء طفلة صغيرة وأضع نصب عيني دومًا عبارة أبي المفضلة (حاشاه ألا يجبر قلوبنا) وأستحي بعد كل

ذلك ألا أنفذ ما أمرني الله به رغم الفرص التي تتناقص يومًا بعد يوم لتمسكي بالحجاب وإن كانت هذه طبيعة مجال الإعلام فلن أسترسل في هذا الصدد.

أهنئك عزيزتي على عودتك للحجاب من جديد وأعلم ما قد يعتريكِ من حيرة وأراهن على المدة التي ستقفيها أمام المرآة قبل النزول.

واختتمت:

-آسفة أنا طولت.. مبروك مرة تانية وإن شاء الله كلامي يكون مفيد ليكِ.

نظرتُ إلى ساعتي. اقترب موعد صلاة الفجر.. لم يفرط والدي فيها قط بل كان يطلق عليها كنز الدنيا! كان حريصًا على إيقاظي كل يوم لأداء الصلاة باستثناء أيام العمل المضنية التي تجبرني على العودة المتأخرة.

حتى عندما خلعت الحجاب..

أشعر الآن أن نفاقي يتعدى "عبد الله ابن أُبي ابن سلول" ذلك الاسم الذي حرص أبي على تحذيري من صفاته بعد التحاقي بقسم الاعلام بالكلية.

عدتُ للتفكير في الأمر!

لن تكون قصة حياتي مذاعة هكذا على الملأ، ما هذه السذاجة التي أفكر في القيام بها وأنا على مشارف السادسة والعشرين من عمري خاصةً أني ذكرت اسمي بالكامل ومكان عملي.

لن أقوم بهذا العبث ويكفي ما قصصته عليها ويزيد.

لحظات وأمسكتُ الهاتف بعصبية..

– على فكرة أنا مقلتلكيش الحكاية كلها.

لماذا أخفيتُ هذا الجانب وما سر إفصاحي عنه الآن.. صدقيني أنا عاجزة عن الإجابة.. أنا فقط بحاجة للبوح عمّا يؤرقني!

لنختصر ونقر أننا لسنا بهذه القوة التي نبدو عليها.

أتعلمين؟ بلغ بي الضيق مرة حد محاولتي إيذاء نفسي لولا ستر الله، لازال الأثر في يدي اليسرى إلى الآن ليذكرني بما حاولتُ القيام به.

هل سمعتِ عن الخذلان؟ يستخدمون هذه العبارة في وصفه (كطفل هرول إلى أمه باكيًا لتحضنه فتلقى صفعة ليكف عن البكاء).

بئس الشعور..

تعرضتُ لموقف مشابه.. "رامي" وهو الاسم الحقيقي بالمناسبة.. أحد زملائي في قناة سابقة وفي الجريدة قبل أن أتركها. اتفقنا على الخطبة. لا أخفي سعادتي بشريك الحياة المنتظر الذي يُقدر أحلامي وسيساعدني على معانقتها.

اختلفنا ذات مرة.. منّ عليّ بتحمله. قالها نصًا( أنا مش هقدر أستحمل).

عبارة غريبة؟ أدرك ذلك.

ذكر الأغرب منها في حديثنا الأخير.. لن ألقيه على مسامعك فقط لأني أجاهد كي أنساه.

لم يكن مني في ذلك الوقت سوى خلع الحجاب. تصرف أرضاني وقتها

شعرتُ به بالتحرر.. بأني على موعد مع بداية جديدة لن ألتفت فيها لهذه الصغائر.

لن أستخدم العبارة التقليدية عن شعوري بالغيرة من كل فتاة محجبة تجملت بالستر مثلما يقولون بل على العكس كما أني لم أمر بنوبات القلق أو ما يطلقون عليها عذاب الضمير بعد خلع الحجاب.. انتبهتُ لعملي بكل ما أملك.

تنهدت للحظات ثم تابعت..

رغم مرور قرابة العام لازالت الكلمة أصعب من أن تنجح محاولتي الأولى في التلفظ بها.

إلى أن انتقل والدي بجوار ربه..

مات أبي فجأة. لم يكن كبيرًا في السن. لم يشتك يومًا من أي ألم ولكنها إرادة الله.

عاد من عمله وانتظرني لتناول الغذاء رغم محاولاتي لثنيه عن رأيه لتأخري في ذلك اليوم فضحك وأقسم أنه سينتظرني وكنتُ أعلم أنه سيفعل فهذه عادته ولكن لم يُكتب لنا تناول الطعام سويًا.

لم أتناول الغذاء في المنزل منذ ذلك اليوم فقط عندما أعود أشارك أمي طعامًا خفيفًا للتسرية عنها.

للوفاة هول لا يوصف.

مشهد مهيب لم أقدر على النزول بعده بغير الحجاب وأنا أخاف من تلك اللحظة التي تُقبض فيها روحي وأين سأكون.

انسابت دموعي علي وجنتَي وتوقفت الرسالة الصوتية فسارعتُ بإكمالها..

ما يثير حفيظتي وقد يدفعني لمحاولة لإيذاء نفسي من جديد أن عبارة "رامي" لازال لها الأثر ذاته وأستنكر تمنياتي كأي مراهقة ساذجة أن يكون بجانبي في هذه اللحظات التي احتجته فيها رغم استمراري في العمل والتألق كما أتلقى الإشادة من مديري الذي وافق على منحي الإجازة بمعجزة.

بالمناسبة لذلك بدأتُ حديثي أنك محظوظة بشقيقك (ما شاء الله) فأحيانًا أفكر في وجود أخوة لي والفارق الذي سيحدثونه.

حتى والدي.. رغم كل ما قصصته فقد كنتُ أتمنى بالفعل لو كان قاسيًا معي لدرجة كافية تجنبني كل هذا الألم بدلًا من تركي في مجابهة الصدمات.

انهمرت دموعي من جديد فاختتمت..

فلتغفري لي هذه الجرعة.. حاولت حذف الرسالة الأخيرة والاكتفاء بأول رسالة لأجنبك كل هذا العناء فدفعني توتري لحذفها من عندي فقط فسامحيني.

أتمنى لكِ كل سلام.

شعرتُ براحة غريبة تعتريني.. هدأت تمامًا لدرجة أني تهيأت لإعادة حساباتي من جديد والذي كان هدفي من المجئ إلى هنا من الأساس.

# حنان

أود فقط في احتضانها.. إخبارها أن صوتها يخترق قلبي ويدفعني لإلقاء السكين في قلبه.

ما الذي أصابني؟

أنسيت أنه غريمي أم أن خدعة "حنان" قد راقت لي!

ازداد خوفي عليها وإن طمأنني صوتها في الرسالة الأخيرة الذي أطربني من جديد. عدتُ لتنفسي المنتظم بعد لحظات عصيبة من الانفعال..

أتعجب كونهم يمنحون صوتي هذا الكم من الثناء! ماذا لو أطربتهم بصوتها؟

رغبة واحدة استبدت بي..

أن ألتقي بهذا المدعو "رامي" وألقنه درسًا قاسيًا.. أعترف أني لم أفهم جيدًا سبب مضايقتها فقد ذكرتني بكل مرة كانت تحدثني "نور" فيها وآلاف التفاصيل التي ترددها في آن واحد.

اقتحم "وليد" الاستوديو بشكل مفاجئ.. عكست عيناه الأخبار السارة التي يحملها فأعلن بزهو:

– وصلنا 350 مليون على يوتيوب وأنغامي السنة اللي فاتت بس.

عقّب "ديسقورص" وهو يكاد يسقط فرحًا عن حتمية استغلال ذلك قبل توقيع العقد الجديدة مع الشركة المنتجة.

-فيديو بقى يا عم شريف!

صفّق "ديسقورص" بكلتا يديه مؤيدًا الفكرة وإن أردف:

-نسأل تيم السوشيال الأول فيديو ولا صورة ونقولهم يبعتوا الكابشن.

كنتُ قد انتهيت من تسجيل البروفة النهائية.. لم أكن راضيًا عنها بنسبة كبيرة خاصةً أنها البروفة الأولى بعد انقطاع..

عبّر "وليد" بسعادة حقيقية كم أنساه هذا الخبر فداحة الخروج المبكر للمنتخب المصري بعد الأداء المحرج أمام جنوب إفريقيا.. ذكرني بالاطمئنان على حالة "أحمد" بعد الخسارة.

فاجأني "ديسقورص":

-الخبر مش مفرحك يا شيكو ولا إيه؟

تدخل "وليد" بعدما جاءه رد فريق السوشيال ميديا عن ضرورة انتظارنا انتهاء ترينـد خسارة المنتخب وثورة الجماهير على اللاعبين كي نتمكن من إعلان الخبر بالحفاوة التي تليق به.

كرر "ديسقورص" سؤاله.. فلم تصله إجابتي بعد.

نظرتُ طويلاً في عيون "وليد".. تخلو من تلك النظرة التي أراها دومًا في عيون "ديسقورص".. سألته عن صدق هذه الإحصائية.. لم أنس بعد حفل

عيد الحب في العام الماضي وكيف وصفناه بالحفل الأكبر في تاريخ مصر على الرغم من قلة الحضور..

اندفع "وليد" يدافع عن الإحصائية وعن تعبنا طيلة العاميين الماضيين للتحضير للألبوم وإن آثر "ديسقورص" الصمت وظل يرمقني بنظراته.

اتفقنا على موعد البروفة القادمة وعلى ضرورة إجراء جلسة تصوير جديدة للحوار مع المجلة الإماراتية على أن يعيد "وليد" المفاضلة بين عروض شركتي الاتصالات لاختيار الرقم الأنسب.

انتهينا مبكرًا من هذه البروفة فلا زالت الثانية صباحًا..

مكالمة واردة من "نور". تعجبت من استيقاظها حتى الآن..

-مش خايفة "طارق" يسمعك بتكلميني؟!

أخبرتني أن أخي يغط في سبات عميق فلديه محكمة في صباح الغد.. لا يختلف كثيرًا عن والدي.

تذكرت الأمنية التي صارحتني بها "ملك".. لو كان والدها قاسيًا معها بالدرجة الكافية لأحدثت قسوته فارق كبير دون شك!

أنهيتُ المكالمة. قمتُ بالرد أخيرًا على رسائل "ملك".. كدتُ أتحدث بلساني وإن تنبهتُ في اللحظات الأخيرة فأضفت تاء التأنيث وانتظرت ردها.

# زنزانة 54

رمقتني شقيقتي بدهشة وكذلك فعل "أحمد".

-أنت عمرك ما سألتني السؤال ده! هو حصل حاجة؟

طلبتُ منها فقط أن تجيبني..

-كنت خايفة يحصل ليك حاجة بعد الشر.

لم ترحني هذه الإجابة.. ربما لأنها كانت آخر ما هددني "طارق" به.. استخدم هذه الذريعة فقّل أثرها على ما يبدو.

تدخل "أحمد":

-مالك بس يا عم؟

-طب أنت اتجوزت "نور" ليه؟

أقسم "أحمد" أنني جُننت.. حاول الاستفسار عما أصابني وإن كانت "نور" قد اشتكت من أمر ما.

أخرجتُ سجائري بعصبية. طالبته أن ينسى مؤقتًا أنها أختي وأن يحدثني بصدق أحتاجه.. فهو لم يكن قد عرفها بعد بالقدر الكافي!

دعاني إلي صالة الجيم التي افتتحها مؤخرًا فأجبت دعوته على الفور.

-إيه يا "أحمد" هتفضل ساكت كده كتير؟

بدا متعجبًا من توقيت طرح السؤال فحاولتُ التهرب من إبداء الأسباب حتى وصلنا للجيم. تفّهم أن مسألة دخولي مستحيلة لازدحام المكان والوقت الذي سأستغرقه في التقاط الصور مع الحاضرين وأنا مرتبط بموعد تسجيل بروفة جديدة فمكثنا في السيارة.

اشترط ألا أدخن فوافقته على مضض قائلًا:

-بس كده ليا عندك سؤال كمان.

المجئ إلى هنا ألهمني بالسؤال الثاني.. كيف نجح في تغيير أسلوب حياته بالكامل في هذه المدة القصيرة وإن فضلتُ عدم التطرق لهذه النقطة كي لا أذكره بألم الإصابة من جديد.

وهناك نقطة وهي الأهم "أحمد" لم يكن له خيار فيما حدث!

نظرتُ إلى ساعتي..

-أنا رايح الاستوديو.. أنا غلطان إن أنا جيت.

-استنى يا "شريف" وحياة أبوك. أقولك هات سيجارة.

نظرتُ له بتعجب.. أهديتُ له العلبة كلها علّه يتحدث بدلاً من هذا الصمت المحيط بنا.

أنهاها أخيرًا. ألقى العلبة في وجهي قائلًا:

-لا يا عم. ممكن أتعود عليها كده! أنا هقولك.

أقسمتُ له أنى لن أخبر "نور" بما سيقول فانطلق أخيرًا.. قرابة الربع ساعة صارحني فيها بما يدور في رأسه..

تدخلت مكالمة "مودي" الموزع في الوقت المناسب.. أخبرني عن تعديلات اللحن الأخيرة فأجبته باقتضاب وذهني مشغول بكل كلمة أخبرني "أحمد" بها ومخاوفه مؤخرًا من عواقب تسرعه.. وكأنه يتحدث بلساني!

أكد لي مرارًا أن "نور" لا دخل لها في هذا الأمر ولكنه القرار ذاته لذا لابد من أن أفكر مليًا.

وتابع أنه ينصحني بما يعجز هو عن القيام به.. لم يكن محتاجًا للمال بعد الاعتزال بالطبع ولكنه استمع لنصيحة أحد أصدقائه فقام بافتتاح هذه الصالة التي تصعب عليه إدارتها وكاد يستمر في ذكر الأمثلة فأخبرته أني تأخرت ومضطر للذهاب.

لم أشأ الاستماع لبقية حديثه فنزل الجيم وتركني في السيارة يكاد رأسي ينفجر.. أخذتُ الكاب الذي أتحرك به أينما ذهبت ونزلت في أول كافيه صادفته في طريقي.

دسست مبلغًا كبيرًا في يد النادل وأنا أرجوه ألا يخبر أحدًا بتواجدي فوافق مرحبًا شرط التقاطه لصورة معي قبل أن أرحل ليريها لخطيبته.

أحضر القهوة بسرعة..

لا يجيدون تحضيرها ولكن لا يهم. أمسكتُ هاتفي الخاص لأستمع من جديد لإجابات "ملك" على أسئلتي.

بمرور الوقت ازداد حيرة وإن كانت على حق في كل ما قالته..

رد "سليمان" أخيرًا.

اعتذر بصدق لانشغاله.. يفصلنا يومان عن النهائي المرتقب بين الجزائر والسنغال.

قام بالثناء عليها ولم أكن في حاجة لذلك! أخبرني مشكورًا أنها ستتواجد غدًا في ماريوت الزمالك لتسجيل تقارير حية عن الجمعية العمومية للاتحاد الافريقي.

فكرتُ في المخاطرة الغير محسوبة.

اهتديتُ أنها الحل الأمثل بدلًا من الاستسلام لهذه الحيرة لتقضي عليّ!

# البداية

**18يوليو2019**

وما أبرئ نفسي..

باغتني بسؤاله!

ساد الصمت لحظات قلائل فكرتُ فيها في العودة للقاعة وإنهاء هذا الأمر برمته.

إلى متى تستمر تلك المحاولات الساذجة!

الصوت يعلو لدرجة تجعل من وجودي مسرحية هزلية تقوم ببطولتها أفشل ممثلات جيلها.

"شريف" يسأل من جديد..

أعلم جيدًا أنه لا مفر من المواجهة.

هدأت الموسيقى تمامًا.. رأفوا لحالي أخيرًا.

أين ذهبت تلك الشجاعة المعروفة أثناء الحديث مع المصادر ومحاورتهم؟ وحده الارتباك هو السائد.

استأذنتُ للذهاب لدورة المياه. لازلتُ مذهولة مما حدث وهو كذلك.. ألقيتُ الماء علي وجهي مرات عدة وكأني أستحثه لينتبه لكل هذه التطورات.

عدتُ إليه.. لم أنجح في إخفاء استيائي من طلب بعض الفتيات بأخذ الصور معه وأظن أنه لاحظ ضيقي فاعتذر بأدب..

جلسنا مجددًا تتذمر رأسي من كل هذه الأفكار.. أخبرني سريعًا من يكون "طارق" وجاء الدور على اختياره لاسم "حنان" فتنهد لثوان وسألني إن كانت السجائر تضايقني فاكتفيتُ بهز رأسي فأدرك أني لا أمانع فسكت مجددًا وكأنه يستجمع قواه ثم تابع..

كما ذكرت.. لعبت الصدفة الدور الأكبر في اقتحامي لمجال الغناء منذ سبع سنوات.. نجاح نسبي للأغنية الأولى. إما لجرأة الكلمات أو اللحن الجيد الذي قُدم لي! كلها عوامل ساهمت في البداية.

لم يسعفني حدسي حتى في التنبؤ بالخطوة التالية.

مكالمة مع شركة منتجة جديدة لتوقيع عقد الألبوم الأول! بدأت المعالم تتضح شيئًا فشيئًا.. تفاصيل جديدة تُضاف للعقد. نسبة ثابتة من الظهور التلفزيوني وكذلك الحفلات مع ترك الحرية في الأفراح. لم أكن مهتمًا تمامًا بهذه النقطة.. فعمل والدي كمستشار قانوني كان يُدر علينا ما أغناني عن الالتفات لهذه الأرقام الضخمة.

تذكرتُ الصحفيين الثلاثة الذين تواصلت معهم بعد الأغنية الأولى ووعدوني بنشر تصريحات خاصة لي ولم يف سوى واحد منهم بوعده عندما انهالوا عليَ بالمكالمات فور صدور الألبوم.. ألقاب كثيرة منحوني إياها في ندواتهم.

شعرتُ بنشوة حقيقية..

إيقاف الجميع لي أينما ذهبت وطلبهم بالتقاط الصور معي حتى جاءت كارثة الحفل الأول.. تجربة الغناء المباشر أمام الجمهور كادت لتقضي على مسيرتي لولا تدخلات جادة أعقبتها!

خوفي من ضياع هذا الحلم أنساني واجب الحذر.. نحيتُ كل وعودي لأمي جانبًا.. كان ل "حنان" كما كانت تفضل أن نناديها تخوفات من هذا المجال وكانت تختم حديثها لي دومًا أن صوتي لا يستحق كل هذه الضجة وربما كانت على حق..

بعد انتهاء الحفل فكرتُ وأنا أرتجف في مانشيتات الصحف في اليوم التالي.. من فسخ التعاقد معي والتضحية بهذه الهالة المحيطة بي. فعدتُ لأمي مخمورًا.

سكت لثوان يلتقط فيها أنفاسه ثم أردف:

لم تكن المرة الأولى وإن لم أعد قبلًا للمنزل بهذه الصورة.

-عارفة يا "ملك" لما قلتِ إنك اتمنيتِ إن والدك يكون قاسي معاكِ؟

تابع دون أن يمهلني فرصة للإجابة على سؤاله:

تمنيتُ الشيء ذاته.. لم تفعل والدتي سوى البكاء وإخباري أنها غير راضية عن هذا التصرف وتخشى عواقبه.

لم ترد إخبار أبي أو حتى "طارق" لسبب أجهله! فقط سألتني عن وعودي لها بالحدود التي سأحترمها طالما قررت الغناء.

كثرت حفلاتي بعد ذلك دون فشل أيٍ منها. تنبهتُ لكل ما قيل عن أدائي.. النفس.. الحركة.. التفاعل مع الجمهور.. إضاءة المسرح.. التفكير في الاستعانة براقصات من الخارج حتى اختيار الملابس!

كبرت اللعبة بنفس السرعة التي يزيد بها عدد المتابعين على السوشيال ميديا بصفحاتهم (محبين شريف الجوهري) (جيش شريف الجوهري) إلى آخر هذه المسميات.

طيبة أمي أنستها ما حدث في تلك الليلة وظل تحفظها الضمني على الأموال.. نصحتني بسؤال دار الإفتاء أو أحد أصدقائي الدعاة.

لم أكن أملك الوقت الكافي ولم يكن طلبها ملحًا فاستمرت الوتيرة ذاتها!

تسربت بعض الصور الخاصة منذ أربعة أعوام.

أدركت أمي مالم يدركه الصحفييون.. قرروا نشر الصور سعيًا لانفراد ومكافأة من رؤسائهم وسعت أمي لتأديبي وإن كانت متأخرة بعض الشئ!

أشركت أبي وقصت عليه ما حدث قبلًا.

لم أكن أجيد الكذب فلم أستطع إخبارها أنها ستكون المرة الأخيرة بل دفعني غبائي للإفصاح عن فرصة فيلم تلعب فيه "نور" دور البطولة.

انفجر أبي في وجهي، فسرتُ ذلك أنها نظرة المجتمع الشرقي للفتاة أو ما شابه!

تسارعت دقات قلب أمي أمامنا.. استمرت أسبوعًا في المستشفى حتى قُضي أمر الله.

فكرتُ جديًا بالكف عن هذا العمل.. خاصةً أنني لم أتلق سواء خمس مكالمات على الأكثر لتقديم واجب العزاء وتساءلت عن الباقي.

عزمتُ أمري على التوقف الفوري كي ترتاح أمي.

جلس أبي برفقة "طارق" يتناقشون حول الموقف القانوني لي والشروط الجزائية المكتوبة في كل عقد وأبدى أبي استعداده الكامل لتحملها في الحال.

قاطعته بحزم:

-بس أنت رجعت.

فأجابني ببساطة:

-شهرين بالظبط وكنت في لبنان بصور برنامج جديد.

خطوة فارقة وخرافية في مشواري جاء بعدها الحفل الكبير الذي أقيم في جامعة القاهرة واحتجنا حراسات خاصة لتسهيل وقوفي على المسرح..

ازداد الطلب وارتفعت القيمة وأنا غير مكترث كالعادة.. فقط أفكر في توتر العلاقة بيني وبين أبي و"طارق" وهل تسببتُ بالفعل في رحيل أمي وإن كانت معانتها مع أمراض القلب قبلها بفترة هي الحل السحري الذي كنتُ أبرء نفسي به.

انقضي الوقت وجاء الحادي والثلاثين من ديسمبر لعام 2015.. مر كذلك ثلاث سنوات على انطلاقتي وأدركتُ فيهم أن هذا اليوم من أهم الأيام بالنسبة لنا. أحيانًا أنتقل من فندق إلى أخر وفق قرار "وليد" ومكتبه.

هذه الليلة كانت مختلفة.

حفل زفاف ابنة أحد الوزراء وكنتُ قد تعودت على هذه الأفراح بقوانينها الصارمة ومجاملاتها الفجّة.

رنَّ هاتفي في السابعة والنصف تقريبًا. كنتُ قد ارتديت ملابسي وأستعد للذهاب للقاعة وجاءتني مكالمة "طارق" يخبرني بوفاة أبي المفاجئة إثر هبوط مفاجئ في الدورة الدموية.

حاولتُ التحرك على الفور..

حذرني "وليد" و"ديسقورص" من عواقب هذا الأمر فهذا الوزير لن يغفر إفساد حفل زفاف ابنته بهذا الشكل.

كان والدي ميتًا وقمتُ بالغناء.

انتهى الحفل في الثالثة صباحًا. قضيتُ الليل في الفندق.. أسرفتُ في الشراب لدرجة استدعاء الطبيب لإسعافي في اليوم التالي.

فور إفاقتي ذهبت لمنزلنا.. صفعتني صورة أمي بمجرد دخولي وكأنها تلومني بابتسامتها الحنونة على ما اقترفت.

لم يتحدث "طارق" لوجود بعض الأقارب، ظل صامتًا حتى رحلوا، وددتُ لو قام بضربي.. يكبرني "طارق" بعشرة أعوام.

في المدرسة..

كان المسؤول الأول عن حمايتي. لكل منا فسحة مختلفة.. كنتُ أفتعل أي مشكلة للنزول وقت الفسحة الخاصة بطلاب الثانوية كي أراه.

طفل صغير تتعثر قدماه في رحلة بحثه عن أمانه.. لا يساعده طوله على تفحص الأوجه. كان هو من يجدني في كل مرة ويوبخني علي ترك الحصص ثم يطمئن إن كنت جائعًا أو لا فأصعد للفصل منتشيًا.

تشاجر ذات مرة بعد انتهاء اليوم الدراسي.. جريت بأسرع ما لدي ووثبتُ علي الطرف الأخر في الشجار أعضهم جميعًا في أقدامهم. كانت وسيلتي الوحيدة حتى انتهى الشجار لصالح "طارق" وفريقه دون الاستفادة بأي من تدخلاتي ولكن كافآني في اليوم ذاته.

توجهنا كنهاية كل أسبوع لتناول الغذاء في نادي القضاة وعرفني على محبوبته "إيمان" زوجته الحالية.

بعد اتفاقي على موعد حجز الاستوديو لتسجيل أول أغنياتي تصادف أن وافق هذا اليوم مناقشة رسالة الماجستير الخاصة به فأخبرتهم أن تغيير الموعد هو شرطي الوحيد.

زينت "نور" ابنته هذا الحفل.. أنا من اخترت لها الفستان الذي ارتدته مثلما اخترت اسمها فور رؤيتها.. كان أبي أكثرنا سعادة في ذلك اليوم فهناك من سيخلفه بقوة.

احتفلنا بعد حصوله علي درجة الامتياز مع التوصية بالطبع والتبادل بين الجامعات.. سألني عن موعد البروفة فأخبرته عن تأجيلها. حينها سألني إن كنت قد عزمت على خوض هذه اللعبة والمضي في هذا الطريق.. صارحني أن أبي كان يتمنى لي مستقبلًا أفضل.

بالطبع كنتُ أعلم ذلك وإن أخبرته عن قناعة أن نجاحاته هو تكفي وتزيد وطالما أني سألتزم بما اتفقنا عليه وها قد برهنتُ لتوي أن العمل لن يسترق لحظاتنا سويًا..

لم أقدر على ترك بروفة واحدة بعد ذلك!

الانشغال بتحضيرات الألبوم والاستعداد للحفلات إلى أخر هذه القائمة.. كل هذا جعل من رؤيتي لهم أو تواجدي في القاهرة من الأساس أمرًا بالغ الصعوبة.

طالما لامني على تقصيري وإجابتي مُعدة قبلًا.. (ضغط العمل). لم أنجح في حضور حفل تخرج "نور" شقيقتي من الكلية لانشغالي فحاولتُ الاعتذار بفرصة الفيلم التي منحتها إياها.

كما أخبرتك ما حدث جراء ذلك، رفض أمي ووفاتها إلى..... إلى أن التقت عيني بعيني "طارق" بعد مغادرة المعزين.

اكتفى بطردي بعد عبارات قليلة نخرت عظامي واخترقتني..

خرجتُ من المنزل أسير بغير هدى وأفكر في قوله أن الأمور انتهت تمامًا وهو لا يرغب في رؤيتي مرة أخرى..

لاحظ أصدقائي.

لأكن عادلًا كما كان أبي يجيد انتقاء كلماته! لاحظ المقربون مني تأثير ما حدث فتدخلوا سريعًا إلى أن نجحوا بالفعل في حل الأمر..

قاموا بإعلان الخبر على صفحات السوشيال ميديا بعدها بأسبوع!

انهالت التعليقات.. أخبرني "وليد" في محاولة لطمأنتي ما هو فضل الدعاء بظهر الغيب للمتوفي. حدثني عن معاني كثيرة! لم أكن بكامل تركيزي وأنا أستمع له وكذلك عندما قام "ديسقورص" بمساعدتي في اختيار الملابس المناسبة.

كانا قد حجزا بالفعل قاعة العزاء الكبرى في مسجد الشيخ زايد.. توافد المئات! نقلت كل المواقع الإخبارية حضور كافة فناني مصر لأداء الواجب والوقوف بجانبي ولكن شيء ما لم يعد كما كان..

مرت أعوام.. لم ألتق ب"طارق" سوى بعد الحادث الأخير في المستشفى. باستثناء مكالمة طلب فيها أن أبتعد عن طريق "نور" ويكفي ما حدث ولكن هي من أرادت خوض التجربة.

بالمناسبة.. لم أطلب منها أبدا خلع الحجاب وأدهشتني عودتها له من جديد واعتزالها للتمثيل بعد نجاح أول تجاربها.

طرحتُ عليها السؤال منذ يومين..

نبهتني كم كان الله رحيمًا بي في ذلك الحادث واقتصر الأمر فقط على الكسر وبعض الكدمات.

حديثي القصير مع "طارق" في المستشفى لم يمر مرور الكرام بالنسبة لي على الرغم من إجابتي القاطعة له أني لا أفكر نهائيًا في تقليد "نور". ثلاثة أسابيع قضيتها بعد ذلك لإجراء كل الفحوصات اللازمة تبعتها العزلة الاجبارية في فترة لم تكن سهلة..

الشعيرات البيضاء التي تسللت على استحياء لذقن "طارق" أخبرتني كم مضى من الوقت على لقائنا الأخير، أتمت ابنته الخامسة عشر ولم تنقطع أبدًا عن الاتصال بي وفي كل مرة كنتُ أسألها عن أخباره.

التقينا من جديد في عقد قران "نور". اكتفت بعقد قرانها في أحد المساجد وأقر باندهاشي وقتها من هذه السرعة التي قررت بها إتمام الزواج من "أحمد" وإن كان جليًا أن كلاهما في حاجة ماسة للأخر لتعويضه ربما!

أنهى حديثه..

كشف وجهه الذابل عن أحاسيس مختلطة.

عاد الصمت يحاصرنا ولم يبد أحدنا أي رغبة في مقاومته!

سألته بعد تردد:

-خايف أنشر اللي قلته؟

أجابني دون تفكير:

-مش هتفرق. أنا كده كده مش مكمل.

# الله أكبر

عاد لتوسلاته التي تمزقني.. لم أعتد نفسي بهذه القسوة قبلًا.

أتحاشى التقاء أعيننا. الصدق البادي يحيرني وهذه الآهة التي يزفرها بين الحين والآخر يرجوني بها تجعل من موافقتي أمرًا محتومًا ولكن..

يعود ليفصح عن رغبته في البوح.

-"ملك" أنا لسه محتاج أتكلم.

سبعة أعوام قد أنافسه على سرد ما مر خلالها!

هل أعد نفسي في حاجة إلى بوحه؟

حتى أمي لم أخبرها وللمرة الأولى وفاجأني هو بذهابه إليها.. لماذا يتسلل الخوف بداخلي الآن؟!

لا أملك الإجابة.

فقط.. أحاول إبداء رأيي كما طلب مني مرارًا لأتيقن بعدها أنه لا جدوى من الاستمرار فوجهه الذابل أمامي سيقضي على مساعيّ حتى قبل أن تبدأ!

أشعر بيداي ترتعشان.. دوار خفيف والمزيد من الصور التي أعرفها جيدًا بعضها مُسّرب والبعض الآخر لم تصل إليه أيدينا! تمر جميعها أمامي كفيلم قصير ينبهني إن فكرتُ في الموافقة على هذا العرض الغريب.

يعود لاستجدائي.

متى انقلبت الآية الى هذا الحد وما الذي سيكابده لو لم أسعفه على حد تعبيره!

لم تمهلني دموعي الفرصة! كالعادة تزاحمني وتنتصر.. شعرتُ بحركة لا إرادية من يديه لمنعها فقمتُ مسرعة!

دلفتُ لغرفتي وهممتُ بإغلاق الباب.

وصل لمسامعي حديثه مع أمي وإن لم أنجح في تمييز الكلمات بوضوح.. يحاول إثبات جديته على حد تعبيره.

استأذنت أمي للدخول عقب نزوله. طلبتُ منها أن تمهلني.. أعلم حديثها مسبقًا!

خُيل لي أن أثاث الغرفة ينتظر بدوره موافقتي من عدمها..

ما يحيرني أني لم أدعوه لاتخاذ هذا القرار.. لا ينفي ذلك سعادتي به ولكني لم أتسبب فيه! قد كان مُهيئًا قبل أن يراني بكثير.

(قمتُ بإلهامه) مصطلح يشمل العديد من المعاني.. لم يفلح في إقناعي به! لن أتحمل وحدي مسئولية قرار مصيري كهذا..

تتبارى مخاوفي أمام عيني الآن لتتحداني ممثلة خصم قوي أشك كثيرًا في قدرتي على مواجهته.

ماذا لو عدل عن قراره؟

بعد شهر! بعد عام.. لا أدري.

الأمر ليس سهلًا كما أظن فمع كل هذه التفاصيل التي ذكرها أكاد أجزم أنها قشور فحسب ويضمر هذا الوسط الكثير والكثير بداخله.. لماذا أكبد نفسي عناء مشاركته في معركته تلك!

من أنا لأغنيه عن توبته؟

لم يتطرق قط لأي فتاة في القصة بأكملها. باستثناء تلك الليالي التي لم يخجل من ذكر تفاصيلها أمامي..

سؤال آخر انضم لرفاقه في قائمة الانتظار الطويلة.. ذكرتني رنة الهاتف بضرورة ارتداء ملابسي في الحال للإسراع للقناة. كيف انقضت الليلة بهذه السرعة؟ وكأن الوقت قد تحالف معه هو الأخر!

حضرتُ أغراضي على عجل. جمعتُ كل القصاصات التي همستُ لها بما يؤرقني وعجزت عن تقديم أي مساعدة.

طبعتُ قبلة حانية على جبين أمي وهي تطلب مني ككل يوم أن أنتبه للطريق وأن أتخلى عن قيادتي المتهورة وأردفت:

-فكرتِ في كلامه؟

رجوتها أن تكثف الدعاء لي. ما من حاجة لتذكيري كل بضع دقائق أنه (ابن حلال) وجدير بثقتي.. وعدتها بتكرار صلاة الاستخارة فور عودتي كي ينشرح قلبي للقرار الأنسب.

تنبهتُ لنسيان مفاتيحي.. اضطررتُ للصعود من جديد لإحضارها وأنا أدعو الله ألا يكون الطريق مزدحمًا. أخبرتهم في القناة أني في الطريق إليهم كي أهنأ بقيادة هانئة لا يعكر صفوها اتصالهم.

أفكر في ردود الأفعال من حولي، ستأسرني نظراتهم من جميع الزوايا ولن أفلح في الهرب.

لن تكون مجرد خطبة حدثت في ظروف مختلفة مثلما يردد!

هل اندمل جرح "رامي" بداخلي؟؟

ميدان لبنان مزدحم كالعادة.. لم أمر بموقف كهذا من قبل. فقط كانت تشغلني خلافات العمل التي لاتتوقف وتبين لي الآن أنها لم تكن بتلك الضراوة.. الحمد لله على النعم التي ألفناها! ما من مظلمة تعرضتُ لها إلا وانتهت بترديد (وأفوض أمري إلى الله).

لم تصل الأمور قبلًا لتلك الدرجة من التعقيد، لجأتُ للراديو كي يسري عني قليلًا.. نصيحة أبي لي بعدما قصصتُ عليه أول أزماتي داخل أورقة القناة..

(كلما ضاقت عليك الأمور تذكر ما قمت به قبلًا.. ما نجحت في الوصول إليه سيدفعك نحو القمة من جديد).

جاءت فقرة الموجز الخاصة بي، أخطأتُ في تشكيل أحد الأحرف مما أثار حنقي، خطأ ساذج لا يقع فيه هاو في بداية مشواره!

تملكني الخوف من إذاعة واحدة من أغانيه أثناء الفاصل.. ستكون ضربة قاصمة لي.

ظهرت بوابة المدينة أخيرًا.

تخفي هذه البوابات عالم سحري محظوظ من اخترقه وقليل من نجح في الصمود في وجه أباطرته.. اكتفيتُ بإعطاء موظفي الأمن الكارنيه دون تحية الصباح المعتادة فلم أنتبه حتى لصراخهم:

-الشنطة يا أستاذة.

اعتذرتُ بخجل.. طلبوا مني إسداء معروف معتاد باصطحاب أحد المتدربات في قناة مجاورة كي لا تتكبد كل هذه المسافة سيرًا على الأقدام خاصَّة مع طقس يوليو الحار. كدتُ أنسحب لتأخري ولكني طلبتُ منها أن تسرع.

لعلها المرة الأولى التي أنحي فيها فضولي جانبًا وأسأل عن القناة التي تتدرب بها وكذلك مؤهلها الدراسي وأنصحها بالجلد مهما طالت المدة التي ستعمل بها دون أي أجر مادي يعادل نصف ما ستنفقه فاكتفيتُ بتوصيلها والرد على محاولات شكرها بابتسامة هادئة لا تنم عما يعصف بي!

أطلتُ النظر إلى القناة.. ذلك الحلم الذي تحقق بشق الأنفس.

تلك الأفكار الشيطانية عن الرجل الشرقي الذي يثور لكرامته ويرفض عمل زوجته وسط هؤلاء! نماذج ناجحة من حولي.. فقط أحسنوا الاختيار.

تطرق "شريف" لهذه النقطة..

يروق لي حينما يستخدم ذكاءه وإن حالت حيرته دون تكرار ذلك.

استغل معرفته بما قام به "رامي" في محاولة لطمأنتي ولكن شتان بين ما كان يرجوه وما داهمني بعد مقارنته تلك!

مغني شاب ناجح انتبه بعد حديثي العفوي معه أنه لا يرغب في إكمال الطريق وسيبتعد عنه بكل ما أوتي من عزم.. هشاشته المثيرة للشفقة وتكراره كم هو مدين لي بهذا التحول يُصعبان من قراري على النقيض تمامًا مما تخاله أمي.

دلفتُ للاستوديو أخيرًا لتنظر لي "زينب" تلك النظرة التي أعرفها جيدًا. سيثور "سليمان" في وجهي ولن أجرؤ على تبرئة نفسي أمامه!

استأذنتهم لشعوري ببعض الإرهاق وهي الحجة التي لن يقبل بها "سليمان" مهما حدث.. لجأتُ للغرفة المجاورة وأخرجتُ هاتفي لأردد دعاء الاستخارة وأستعد لصلاتها من جديد.

(اللهم اكتب لي الخير وارضني به).

# غير متاح حاليًا

وصلتني رسالة "ملك".

تحاول الاتصال ولكنها ستستمع على الطرف الأخر للرسالة المسجلة أن الرقم مغلق أو غير متاح..

انقضى أسبوع لم يصلني ردها مما أقلقني. فقط كنتُ أطمأن من والدتها أنها بخير ومن "سليمان" الذي عبر بصراحة بالغة عن دهشته.

استأذنتُ الطبيب إن كان بإمكانه أن يتوقف قليلًا.. أخبرني أن الجلسة قاربت على الانتهاء.

حمدتُ الله أن ذلك الوشم اللعين على ذراعتي فقط.. فإزالته مؤلمة بالفعل. لازال المشوار طويلًا سواء لإزالته نهائيًا أو للالتزام بالخطة التي وضعتها مع الدكتور "أسامة".

اشترط عدم ذكر اسمه نهائيًا عندما تحين اللحظة المناسبة للإعلان عن قراري! ربما خشي من تأثير ذلك على برامجه وشعبيته وإن توقعتُ العكس تمامًا!

فقط سؤاله الذي اختتم به حديثنا الأخير أربكني.. تحذيره من اندفاعي. حاولتُ مرارًا طرد هذه الأفكار من رأسي.

لا يتصور "أحمد" سعادتي عندما أخبرني صباح اليوم بحدوث المعجزة وانتهاء كافة الإجراءات الخاصة بي للحاق بالحج هذا العام. نجحت علاقاته بهؤلاء المسئولين في النادي السعودي الذي سبق له اللعب لصفوفه بإنهائها في وقت قياسي.

نظرتُ لخلفية هاتفي بعدما قمت بتغيير الصورة واستبدالها بصورة أمي.. مع الرسالة التي تظهر عند فتح الهاتف (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)

تذكرتُ القصة التي أخبرني بها الدكتور "أسامة" عن ذلك الرجل الذي قتل مائة نفس ولم يمنعه ذلك من التوبة حتى تقبله الله من التائبين وأذن لملائكة الرحمة لتقبض روحه.. تحفزني هذه القصة لدرجة أعجز عن وصفها..

اليوم هو فرصتي الأخيرة للذهاب ل "طارق" قبل السفر.. آثرتُ أن أحادث "ملك" أولًا:

-وحشتيني.

نطقتها بكل جوارحي.. هل أعد نفسي متسرعًا مثلما يبرهن كل من حولي.

لم ترد. فتابعت أني سأحضر اليوم برفقة "طارق" و "نور" فعلينا أن نسرع بقراءة الفاتحة قبل السفر للحج.

انهالت عليَ بمعلقة شعرية عن تحفظاتها على هذه العجلة.. ذكرتني أنها لم تخبرني بموافقتها النهائية بعد وأنها كانت تطمئن فقط على أخباري.

أكدتُ لها أن رغبتها في الاطمئنان هي موافقة ضمنية أجدتُ قراءتها وإن لم تفصح عنها!

-طب أنا عايزة أشوفك الأول.. لازم!

جدية "ملك" تثير إعجابي بشكل كبير.. اتفقنا على المكان.

مكالمة "وليد" أثارت فزعي. لم أخبره إلى الآن كي أنتبه جيدًا لموقفي القانوني وأني قد رتبتُ كافة أموري لتجنب أي عوائق..

طمأنني برسالته.. يهنئني على انتهاء إجراءات الحج وأنه ينتظر الصور بشدة كي تُنشر قبل الوقفة بوقت كاف.

وصلت "ملك".. طلبت قهوتها المعتادة وكذلك فعلت. انتبهت للأثر في ذراعي فحدثتها عن إزالة الوشم بالليزر وعكست عيناها سعادة دفينة أثلجت صدري فبادرتها بشجاعة:

-قولي لي خايفة من إيه؟

استخدمت مهاراتها الإعلامية لتقلب السؤال وتنتظر مني أن أمنحها الإجابة! اتفق كلانا على فترة مناسبة للخطبة فحتى الآن الأمور ليست مريحة بنسبة كافية لها رغم محاولاتي المستميتة لإثبات النقيض.

عرضتُ عليها خطتي كاملة..

مشاركة "أحمد" في صالة الجيم.. العمل على توسعتها وافتتاح فروع جديدة مع التخلص بالطبع من كافة أموالي السابقة واعتمادي الكلي على نصيبي من إرث أبي. اللجوء ل "طارق" للتأكد من صحة المسائل القانونية.

أبدت إعجابها بفكرة الجيم مع التخوف من اقتحام هذا المجال.. لم تمانع من العيش في شقة والديّ في الزمالك ولو بصورة مؤقتة. شعرتُ أن الأبواب تُفتح لي شيئًا فشيئًا على الرغم من نبرة القلق الدائمة في صوتها.

أوصلتها إلى سيارتها وتوجهتُ مسرعًا لشارع وادي النيل أحاول عبثًا الحصول على مكان لصف سيارتي.

كنتُ أعلم أن "طارق" هناك رغم ذهابي بدون موعد.. اتفقتُ مع مساعده على إخباره أني موكل في حاجة لاستشارة قانونية عاجلة وهي الحقيقة بعينها.

فتح الباب بنفسه كعادة أبي في استقبال زبائنه. تجهم وجهه من هول المفاجأة.. احتضنته دون حتى أن أتحدث رغم اجتهادي في تحضير مقدمة لا بأس بها! سألني بقلق حقيقي:

-أنت كويس؟

فاحتضنته من جديد مرددًا:

-"نور" مش أحسن مني! ده حتي يبقي عيب.

لم أتمالك نفسي من السخرية من علامات الغباء البادية على وجهه فكيف يواجه القضاة بهذه الملامح.. كما علقتُ على غزو الشعيرات البيضاء لذقنه تحديدًا وتخوفي من أمر مشابه قد يحدث معي عما قريب!

أخرجتُ نسخ العقود وكذلك الأوراق الخاصة بصالة الجيم التي يملكها "أحمد".. تذكرتُ ذلك الطفل الصغير الذي كان يترك فصله ليفتش عن أمانه..

اقترح أن نتناول الغداء في نادي القضاة كي يتسنى له فحص الأوراق والاستماع إلي فوددتُ لو كان الوقت في صالحنا..

-فيه مشوار أهم الأول.. أنا هتجوز وعايزك معايا.

ظنني أمزح:

-الصغير ميعرفش يسد لوحده ولا ايه؟

ضحكتُ من إيحائه:

-اسمع بس يا عم.. "ملك" هي السبب في كل ده.

# حنان..

علقّت أمي على سرعتي الزائدة:

-أنتم لحقتوا؟

تظاهرتُ بالاهتمام بالطريق حتى وصلنا.. يبدو أن سعادته بحضور أمي لاستقباله فاقت أضعاف سعادته بحضوري.

انحنى ليقبل يدها معتذرًا أن الوقت لم يكن في صالحه لأداء مناسك العمرة لها ووعدها بأن تسافر معنا في مرة قريبة.

حضرت "نور" برفقة "طارق" فهرول إليهما مسرعًا يحتضنهما بلهفة حقيقية ويخبرهما أنه لم يتوقف عن الدعاء لوالديه وأن أمه قد زارته في رؤية بعد صلاة الفجر.

دعانا "طارق" لتناول الغذاء في نادي القضاة ووافق "شريف" بسرعة أرغمتني على الابتسام وأنا أشرح لأمي سر اختيار هذا المكان تحديدًا على الرغم من المسافة البعيدة بينه وبين المطار.

قرأتُ في عينيه كم كان ممتنًا لي كونها المرة الأولى منذ أعوام التي يجد فيها أحد أقاربه لاستقباله.

بادر "طارق" بسؤاله عن توقيت إعلان الخبر.

اتفقنا جميعًا على ضرورة الإعلان على عكس ما قامت به "نور" والتي فضلت الانسحاب بهدوء.

تملكتني بعض المخاوف لم أشأ الإفصاح عنها!

سأله "طارق" مجددًا إن أنهى كل الإجراءات مع "وليد" و"ديسقورص" فأشار بالإيجاب.. أكدت "نور" أهمية تجاهل أي تعليق كان لتجنب ردود الأفعال.

لم يشك أحدنا للحظة أن مفاجأة إعلان خبر اعتزال "شريف الجوهري" الغناء نهائيًا ستحدث ثورة تقلب الموازين وقد كنا على حق!

# Captain Black Dark

**21سبتمبر..2019**

لم تتوقف التعليقات إلى الآن رغم مرور قرابة الشهر!

أحاول التغلب على الملل الذي يصيبني.. رتابة الإيقاع في صالة الجيم لا توصف حتى عندما يأتي "أحمد" إلى هنا..

**(عندما تقلع عن إدمان شيء ما.. أول ما ستواجه هو التفكير به في أوقات الفراغ فإن قتلت الفراغ انتصرت).**

❋الدكتور أحمد خالد توفيق

ساعدتني رسالة "ملك" بعض الشيء وإن قل تأثيرها بمرور الوقت..

ذكريات هذه الفترة من العام الماضي والاستعداد للمهرجان تُصعب الأمور للغاية. لم أشأ التسبب في المزيد من الازعاج لـ "ملك" وتعطيلها عن العمل. اكتفيتُ برسالة قصيرة أطمأن بها عن أخر أخبار استعداداتها للزفاف.

هذا الألم في رأسي من فرط التفكير يأبى أن يبرحني. وددتُ لو يفتعل أحدهم مشكلة حتى كي أنشغل بها عن هذه الصراعات القاسية.

قادتني أصابعي للتفتيش في الصور القديمة..

خانتني مقاومتي. داعبني حنين خفي حيال تلك الفترة.. لا أعلم إن كان بإمكاني القضاء عليه أم سأرضخ له بخنوع! ذكريات قضاء الليل في الفندق.. وصول البدلة من الخارج.. الاستعانة بطاقم لبناني كامل في العام الماضي.

لم أستطع الابتعاد عن السجائر أو حتى تقليلها فاستسلمتُ لكبرياء العلبة على المكتب أمامي وأشعلتُ واحدة وأنا أتصفح أخبار المهرجان على مواقع التواصل الاجتماعي..

(شريف الجوهري أبرز الغائبين عن المهرجان في دورته الثانية) إلى أخر هذه العناوين.

اقترحتُ على "ملك" من جديد الإسراع في حفل الزفاف بدلًا من الانتظار.. يضايقني من الآن انتهاء رصيد إجازاتها السنوية مما يحول دون سفرنا فترة كافية بعد الزفاف في الشهر القادم.

أغلقتُ الهاتف بعصبية ودعوتُ الله من صميم قلبي أن يمنحني القوة الكافية كي تمر هذه الفترة بسلام..

# حنان..

## 19أكتوبر..2019

أعتقد أن الإحساس الأروع في العالم أن يكون المرء مطمئنًا.. مطمئن لا أكثر. لا يشعر بالخوف أو الريبة.. لا تعتريه الشكوك أو الضيق.. مطمئن فحسب.

لا أعلم إن كنت جديرًا بهذه العبارة التي قالتها وهي تمنحني بشفاه يعتصرها الخجل قبلة سريعة لم أذق مثلها أبدًا..

لاحت بوجهها كأنها تخشى التقاء أعيننا من فرط حرجها..

أنا المدين لها بهذه العبارة وأكثر! انتشالها لي وصمودها في أحلك الأوقات التي تأزمت فيها الأمور وكاد اليأس ينتصر ومعه تفكيري الدائم في العدول عن قراري.

لم تمانع في زيارة قبر أمي كأول مكان نقصده بعد الزواج.. قرأتُ لها الفاتحة وشعرتُ لأول مرة أنها سامحتني وهو ما جعلني في حالة لا توصف!

مررنا كذلك بقبر أبيها.. أوضحت للمرة الأولى منذ تعارفنا أن وجودي خفف عنها ألم الفراق الذي كان يدمي قلبها. أزال عن كاهلها كذلك حمل الادعاء الثقيل خاصةً في العمل مع ما تتعرض له!

ارتدينا ملابسنا واستعد كلانا للذهاب لعمله.

تأملتُ وجنتيها وحمرة الخجل لازالت تزينهما وهذه الابتسامة التي تأسرني مع ذلك اللحن الرائع والهارمونيكا التي تجمع سحر عينيها مع نظراتهما الصادقة.

وددتُ لو تستمر الإجازة مدة أطول لا يمنعها عني أحد.

# المواجهة

## 31 أكتوبر..2019

سليمان..

انتبهتُ لرسالة عم "طه" المفاجئة.. (أيمن الشاذلي داخل عليكم دلوقتي).

حضوره لم يكن متوقعًا على الإطلاق، بل إنه لم يفعلها إبان تولي "فتحي" المهمة وها قد مضى حوالي سبعة أشهر على تكليفي!

تشريفه بهذه الزيارة أربكني.. دفعني للتساؤل فخطواته المحسوبة بدقة تبرهن أنه أمر جلل الذي يدفعه للحضور بنفسه بدلًا من استدعائي!

لا أعتقد أن البطولة القادمة هي السبب.. مررنا بالأصعب! أشاد الجميع بتغطية القناة لبطولة الكبار في يوليو الماضي واحتل هو رأس القائمة.

بادر الأستاذ "ديشا" بسؤالي عن سبب صمتي المفاجئ وإن لم يمهلني "أيمن" للرد عليه باقتحامه المفاجئ للغرفة وإشارته القاطعة لـ "درويش" كي يغادر في الحال.

لم أكن قد انتهيت من المرحلة الأصعب وهي الخاصة بفصل محتوى القناة بكامل برامجها عن برنامج "إبراهيم المصري" تجنبًا لأي أفكار مشابهة ليضمن

"ديشا" انفراد برنامجه.. حملت عيناه فضول يكاد يطرحه أرضًا وإن امتثل للأمر وغادرنا بهدوء حاولتُ التظاهر به بدوري.

انتظرتُ أن يبدأ "أيمن" بالحديث كي يوفر هذا الوقت. فتش عن الريموت ورفع صوت القناة عن آخرها!

ابتسم وهو ينظر لضيوف البرنامج "ملك" و"زينب" وحديثهن الخاص عن مهارات التعليق الصوتي وجنود القناة المجهولين خلف الكاميرا.

أجزم أنه على دراية كاملة باعتذار الضيف الأساسي لهذه الفقرة ومحاولتي تعويض ذلك بظهورهن وتغيير الموضوع كي لا نتأثر بغيابه.. ما يهمس به أحدنا هنا يصل لأيمن قبل أن نلتقط أنفاسنا!

ليست المرة الأولى التي نتعرض فيها لضرب الهوا ونحاول التصرف وتبوء مساعينا بالفشل فنضطر للخروج بأقل خسارة ممكنة. لا أعد ظهورهما خسارة فإلى الآن هناك متابعة جيدة على صفحات السوشيال ميديا..

أشار إلى "ملك" قائلًا:

-لسه جوزها مش راضي يجيلنا في حلقة؟ احنا أولى من الغريب.

دافعتُ عن "شريف الجوهري" وعدم ظهوره في أي وسيلة إعلامية عقب قرار الأخير استخدمته كدليل لبراءتي..

سكت من جديد! أعدتُ التفكير في الملفات المطروحة.

انتهيتُ من توزيع أدوار المراسلين لتغطية كأس الأمم الإفريقية تحت 23 عام وحُلّت كذلك المشكلة الخاصة بمواعيد البرامج.. عملتُ على تسرب الخلاف للصحف لزيادة الترقب لبرنامج الكابتن "عمدة" الجديد.

فكرتُ في مصارحته أني يئست من انتظاري لحديثه فليفجر المفاجأة التي جاء من أجلها ويترك لي الفرصة بعد ذلك بالتصرف بدلًا من هذا الانتظار الخانق والابتسامة التي يرمقني بها!

لم تكن "ملك" تعلم بوجوده ولا أدري كيف استطاعت دخول الغرفة دون أن يخبرها أحد الأغبياء في الخارج أنه موجود فانسحبت معتذرة.. تعجبتُ من عدم ذكره لنقطة "شريف" أمامها! ألم يكن مغتاظًا منذ لحظات لعدم انفرادنا بحلقة مع زوجها؟ لماذا لم يفاتحها بأسلوبه الخاص ويختبر رد فعلها على الأقل؟

نظرتُ في عينيه بجرأة بعد أن ضقت بجلوسه الهادئ يكتفي بالمراقبة:

-خير يا مستر "أيمن".

# الخميس 7 نوفمبر2019

قارب الأسبوع اللعين على الانتهاء أخيرًا..

كل الدلائل تشير إلى انفعالي الزائد. حاولتُ افتعال الأسباب.. توقعتُ ثورتها لأتمكن من استغلالها وفوجئت بهشاشة لم تخطر على بالي!

احترمت رغبتي الساذجة وإن حاولت إثنائي عنها بطرق عديدة.

ثرتُ بالفعل من عدم إخباري بظهورها.. أتفهم سبب العودة في منتصف الليل وأقدر أنها المرة الأولى ولم تكن بيدها حتى!

لماذا إذًا؟

لا تستحق أن تكون هذه هي النتيجة..

كنتُ أظن أن غلقي لحسابات الفيس بوك كلها سيضع حلًا ولكني كنتُ واهمًا.

الفترة ذاتها من كل عام.. الاستعداد لحفل عيد الحب. حفل العام الماضي كان مميزًا للغاية وأعقبه البدء في تحضيرات الألبوم الجديد.

أود إخبار الدكتور "أسامة" بل وإخبار "ملك" أيضًا بعد مصالحتها أن الاستعاذة وحدها ليست بحل كاف وترديد (من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه) لازال لها مفعول ولكن..

العودة بحساب!

ولم لا؟! تتر برنامج "أسامة" القادم قد يكون بوابتي! لأتفق معها ومع "طارق" أيضًا علّي أرتاح من هذه الوساوس.

لازالت السابعة صباحًا.. لأنتظر قليلًا وأذهب بعدها للاستوديو فقط لرؤيتهم وإلقاء التحية.

بدأت أشعة الشمس في التسلل لينعكس نورها على وجه "ملك" المرهق.. أتساءل كيف تظهر علامات التعب بهذا الشكل على الرغم من مكوثها الثلاثة أيام الماضية في المنزل!

المفترض أنها ارتاحت من مشوارها اليومي من الزمالك لمدينة الإنتاج الإعلامي ومن التحضير السريع للطعام مع جدولها اليومي المزدحم..

بدا لي كأن أعومًا أضيفت إلى عمرها!

خلى طعام العشاء في الأيام الماضية من تلك المناكفة المعتادة.. كيف كان يومها؟ إعادة التسجيل.. تأخير النشرة والخلاف مع المحرر لطول الخبر، اعتدتُ أنا الاخر على مفارقات عملها.

تؤلمني عيناها بعدما رأيتها ولأول مرة تفتقد لهذا السحر الذي كنتُ أنعم بالنظر إليه! أفكر في إخبارها أني موافق على العودة ولكن بشروط..

كنتُ أستحث الوقت كي يمضي لأسارع إلى الاستوديو.. أفكر من الآن في الليلة البائسة التي سأقضيها في فراشي بمفردي لتكتمل المأساة.

كانت تتألم بالفعل بالأمس ولولا ذلك لفكرتُ في أنها تحاول التهرب كنوع من التأديب..

قمتُ للمطبخ وأنا أفتقد صوتها. لو كانت مستيقظة لحذرتني من تناول القهوة على معدة فارغة ولنجحت في إقناعي بقبلتها الحارة أن أمنحها بضع دقائق لتنتهي من إعداد الطعام الخاص بها في المدينة وإعداد الفطور..

فتشتُ عن السكر فلم أجده.. اكتفيتُ بمعلقة كبيرة من البن كأني أنتقم.

أمسكتُ هاتفي. فركتُ عيناي للتأكد من صحة الخبر! باغتنني دمعة سالت بسرعة لم أشعر بها.. هرولتُ للغرفة لارتداء ملابسي وسارعتُ بالتوجه إليه.

# وما أبرئ نفسي..

أحاول دون جدوى..

الألم يكاد يفتك برأسي والعجز يحاصرني.

البكاء لم يعد يجدي والمزيد من التوسل لم يزدني إلا ألمًا!

يرتدي ملابسه بسرعة لم أعهدها.. يهم بالخروج.

لا أشعر سوى باستجدائي له من جديد..

الرعشة ذاتها تفترسني وتأبى شفتاي سوى المشاركة بتلعثم حاد.. مكتفية بذكر اسمه علّه يكون دليلًا.

تكاد عيناه تخرجان هلعًا وكلتا يديه تتمكنان مني..

أتشبث قدر ما استطعت!

أضمّه بكل ما ملكت من وهن وأغمض عيناي راغبة في الفرار وعدم تصديق طلبه بتقديم الاستقالة.

تنبه للألم الذي حلَ بي فهدأ انفعاله ووعدني بإعادة التفكير في الأمر..

ما أشبه الليلة بالبارحة. فالقصة تكررت بحذافيرها بألم يفوق أضعاف ما كابدته بعد مواجهتي لـ "رامي"!

فكرتُ في محادثة "نور" ربما لأنها اشتكت لي منذ أيام عن خلافها مع "أحمد".. أخبرتني بنبرة هادئة تخلو من أي زيف أنها تفكر في الانفصال.

كانت مفاجأة قاسية بالطبع خاصةً هذا الجنين الذي تحمله بين أحشائها وأنها لم تتذمر يومًا من طباعه! استخدمتُ هذه الحُجة لمحاولة إثنائها.. تعجبتُ من ثورتها في هذا التوقيت فهي تعلم منذ البداية ولعه بكرة القدم حتى بعد اعتزاله وقضائه أغلب الوقت خارج المنزل لا يعد ظاهرة جدية تستدعي ثورتها..

تعمدتُ كذلك عقد مقارنة سريعة بينه وبين "شريف".. ذكرتها بالمرات التي نخرج فيها سويًا واندفاع البنات من كل صوب تجاه شريف ولهفتهم التي لم تتوقف من الآن وتتسبب لي في مشاعر مؤلمة أعجز عن وصف حدتها.

انتظرتني حتى انتهيت وألقت على مسامعي السؤال الأهم.. تيقنتُ بعده أن أي سعي مني للتسرية عنها هو جهد ضائع!

-"ملك" أنا كل يوم بفكر هو اتجوزني ليه.. تقدري تجاوبيني؟

تابعت هي بحدة أنها أدركت بعد فوات الأوان أن حاجته إليها قد انتهت.. بدأت حياته تعود لنصابها الطبيعي فهو يقضي الآن يومين في الأسبوع مع أصدقائه في النادي للعب الكرة.

لم تخجل من الإشارة لتلك اللحظات التي يضمهما فيها الفراش كونها اللحظات الوحيدة التي تذكرها بوجود من يُدعى "أحمد" في حياتها.

تنبهت إلى تسرعها..

دعتني أن أكون قدر ثقتها وأن أكثف من دعائي لها وهو ما فعلته دون حتى أن تطلب.. أنهت المكالمة بأنها لم تشأ الكشف عن تفاصيل أخرى طعنتها.

لاحظ "شريف" تأثري بعد حديثي معها! كانت عبارتها تتردد في أذني (حاجته إليها قد انتهت) تعني احتمالية مروري بموقف مشابه..

جاهدتُ في طرد هذه الأفكار.. لم أتوقف أبدًا عن الدعاء لها ووصية أمي بالقيام بأمر مماثل.

الأزمة الصحية التي تعرض لها والد "أحمد" بعد ذلك تسببت في تهدئة الأمور قليلًا أو هذا ما أخبرتني به!

نظرتُ إلى هاتفي.. لم يرد "شريف" بعد.

فقط يخبرني أين يكون! غالبتني دموعي مجددًا.. أفكر في كل ما قال. لا بد من ترك العمل! بهذه البساطة؟

جّف حلقي من تبرير عودتي المتأخرة في هذه الليلة ومفاجأتي كالبقية بظهوري على الهواء لحل مشكلة اعتذار الضيف. لم يقدر عدم مكابرتي على ما يبدو واعترافي بالخطأ بكل بساطة.

لم تكن العودة المتأخرة فحسب..

هل يشعر بالغيرة؟ أتهرب من هذه الأفكار قدر ما استطعت.. تعود أن يستأثر وحده بهذه الهالة وبالتفاف الجميع حوله.

تلك العبارة التي تلفّظ بها عن غير عمد. ليس مجبرًا على الجلوس أمام التلفاز كأي مشاهد عادي يصفق بعد انتهاء الحلقة.

طالما كان الانبهار رفيقه! هل يفكر في التراجع؟ بهذه السرعة؟

اشتاق لهرولتهم نحوه ونفاذ التذاكر فور الإعلان عن الحفل.. وقوفه على المسرح يرد تحية الآلاف أمامه وغيرهم ممن يرغبوا فقط في السلام عليه.

لا أملك سوى الإذعان لرغبته ولو بصورة مؤقتة حتى تهدأ الأمور. الحكمة تقتضي القيام بذلك.

لازال هاتفه غير متاح..

أشد ما أتمناه في الحال هو سماع صوت مفتاحه كي أطمئن على عودته وأحتضنه دون كلمة واحدة ربما يشعر بما يضمره قلبي تجاهه.

# المباراة النهائية

## 22 نوفمبر 2019

آثرتُ أن أشكر "عمرو" أولًا..

عبرت "فريدة" عن دهشتها من وجود هذا العدد رغم حضورنا المبكر.. استاد القاهرة يمتلئ عن اخره في مشهد مهيب.

تطربني أصوات هتاف الجماهير كمقطوعة موسيقية دأب عمالقة على تأليفها. أفكر جديًا في ترك المقصورة الرئيسية التي أهدانا "أحمد" تذكرتين بها والذهاب للدرجة الثالثة..

تبدو الشبكة كبيرة للغاية مقارنةً برؤيتي المعتادة لها خلف الشاشات.. هذه الكراسي الزرقاء أمامنا هي المخصصة للإعلاميين.

يرشد أفراد الأمن جماهير ساحل العاج إلى مقاعدهم المخصصة بجانبنا في الدرجة الأولى ويساعدهم المتطوعون على الجلوس.

أتساءل لماذا حضروا متأخرين؟ فريقهم في النهائي وعليهم مساندته بكل قوة!

تشكو "فريدة" من حرارة الجو رغم دخول الأسبوع الأول من نوفمبر.. تخبرني عن ألم في بطنها فأتعمد تجاهل شكواها وأردف بسخرية:

-مش عارف.. اسألي أي دكتور.

تنظر إليّ كمخبول مأسوف على شبابه يستحق دعوات القلوب الطيبة أن يعود إلى رشده مجددًا.

يطفئون الأنوار استعدادًا لبدء الحفل..

لم تُحبس أنفاسي كهذا في ليلة زفافي حتى.. أتعجل انتهاء الحفل كي تحين لحظة نزول أول لاعب من فريقنا. هزة أرضية في صلاح سالم! المذيع الداخلي يشدو بأسماء أبطالنا وقلبي يكاد يخرج من بين أضلعي ليقف بجانبهم ويشاركهم هذا الشعور.

خاضوا المباريات الأربع في الأسبوعين الماضيين ببسالة غير عادية.. حجزنا عن جدارة مكان خاص بالفراعنة في دورة الألعاب الأولمبية يوليو 2020 وتبقي مباراة الآن هي الفيصل لاكتمال الفرحة ورفع كأس البطولة.

هذا الجيل الذهبي تحت 23 عام يبشر بتعويض نكسة الكبار التي شهدها الاستاد ذاته!

يطلق الحكم صافرته ليعلن شوط أول من المتعة الكروية.. لولا انتظاري لرسالة "أحمد" لنلتقي كما اتفقنا لأغلقتُ هاتفي وألقيته بعيدًا كي لا يصل إليّ أحد.

يضغط الخصم جيدًا.. يحاولون استفزازنا. يخشون المنتخب الحاصل على العلامة الكاملة في البطولة ولكن لتذهب أمانيهم إلى الجحيم فأقدام لاعبينا راسخة تخوض المباراة بصلابة.

**الدقيقة 37**

القائد "رمضان صبحي" يهدي "كريم العراقي" هدف التقدم.. أرغب في النزول لأرض الملعب بأسرع ما لدي كي أشاركهم هذه الفرحة الجنونية. أتذكر رجال الأمن وكيف يقدرون على منعي فألزم مقعدي مرغمًا.

أشعر أنها المباراة الأولى التي أشاهدها في حياتي! أفكر في الكأس التي تقترب من لاعبينا لتكافئهم نظير اجتهادهم.

يطلق الحكم صافرة انتهاء الشوط الأول..

أتصبب عرقًا وألقي بالجاكت على الأرض بعدم اكتراث. أسأل "فريدة" إن كانت ترغب في شيء ما وأتمنى من أعماق قلبي أن تجيبني بالنفي.

تخبرني عن رغبتها بالذهاب للحمام ولولا خطر عدم الذهاب على الحامل لتجاهلت الأمر وكأني لم أستمع لها من الأساس!

قمنا سويًا.. أفكر في قضاء الليل هنا! لأقل أسبوع على الأقل.. ألا يفكرون في افتتاح مستشفى في استاد القاهرة عما قريب؟ لا شك أنه مقترح عظيم سأعرضه على الدكتورة "إيمان" في يوم من الأيام.

أنتظر "فريدة" حتى تخرج وأبعث برسالة صوتية لـ "عمرو" رغم الضوضاء المحيطة بي..

دفعتي وأعظم دكتور نفسي في المجرة. أنا في الاستاد.. كان معاك حق.

ربما تخبره نبرة صوتي أنه نجح بالفعل!

عيون "فريدة" تبرهن على ذلك. هناك من يحاورها بقلب لأول مرة بدلًا من الصمت الذي كان رفيقه الدائم! أتحدث دون تلعثم بل إني قادر على سرد تاريخ هذا الاستاد منذ افتتحوه في 1956. هناك من يشعر أنه غير مدين للدقائق لا يطلب منها أن تمر ليسارع بالهرب والخلود لسبات عميق ينسيه ما يعانيه.

نصيحة "عمرو" باستغلال البطولة المقامة بحضور جماهيري على عكس مباريات الدوري للمشاركة كواحد من الجماهير والهتاف معهم إن أردت.

ستكون هذه الخطوة الأولى! أما عن التعويض فالفرصة سانحة.. انتظار أربعة أشهر قادمة حتى تضع "فريدة" مولودنا الأول بسلام ولنقل بضعة أعوام بعد ذلك وأنتهز المناسبة بترك الحرية الكاملة له.

سيكون هذا هو الرد الأفضل.. لن تنجح في التغلب على الماضي سوى بذكريات جديدة من خضم متعتك الكبرى. اغتنم هذه اللحظات واملأ بها عقلك الباطن كي تزاحم آلامك القديمة وتعلن انسحابها بلا رجعة.

لن يكون الأمر سهلًا.. لا تحتاج لأي دواء. ادع الله عز وجل أن يمنح ولدك الحظ الذي لم يكن يومًا لك. اجعله فخورًا بأبيه.

أتذكر نصائح "عمرو" الذهبية لي والقرار الأفضل في حياتي بذهابي له.

أرى "فريدة" قد خرجت. أسارع بالعودة للمقاعد رغم شكواها من هرولتي في السير.. أفكر في احتضانها أمام الجميع تعبيرًا عن هذه الفرحة التي تعتريني وأتراجع في اللحظات الأخيرة!

أتجول بعيني في هذا المشهد الساحر وحضور ما يزيد عن سبعين ألف متفرج لمشاهدة فريق من الأبطال لم يُكتب لي أن أكون واحدًا منهم..

فقط يساورني بعض القلق عن عدم حضور "أحمد" كما وعدني!

أخرج هاتفي.. أبعث برسالة سريعة لأطمئن بها أنه بخير. أضغط على يد "فريدة" مع صافرة انطلاق الشوط الثاني وأستعد لبداية رحلة جديدة من المتعة. ....

**صوت إشعار الهاتف برسالة جديدة على الواتس آب.

هذا الطبيب يستفسر عن سبب عدم حضوري. تفعيل وضع الطيران وسيلة مناسبة!

تنبهني المرآة لقدوم عسكري جديد سيعلق ولا شك عن وقوف السيارة في هذا المكان ثم ينسحب مسرعًا فور معرفة من أكون.

-ماما وبابا بخير؟

تسألني بلهفة حقيقية لتزيد ذلك الألم.

-"نور" أنا أسف.

أعلم أن هذه الكلمة تبدو ساذجة بل تفوق ذلك الوصف. لا شيء يضاهي أو يغفر ما تفوهتُ به في لحظة جنوني! لن أدّعي البراءة وألقي التهمة عليهم هذه المرة.

أقر بخطأي ولشد ما يضايقني أنها ستسامحني..

تطلب مني أن أتحرك، الجلوس في السيارة غير مريح لها ولطفلنا المنتظر.

-تعبانة؟

-شوية.. وعشان تلحق تشوف الماتش.

أصرخ بحدة أنني لا أرغب في رؤية المباراة.. أطمع فيما هو أهم! أن أثبت لها أني لم أكن أدّعي يومًا عندما أخبرتها أني أحبها.

لماذا وقفت أمامها متسمرًا في مكاني كأبكم عُقد لسانه؟

انقضت مدة نجحتُ فيها في إخفاء ما يراودني باستمرار، تعجلنا بعض الشيء في قرار الزواج! بدأت تلاحظ مؤخرًا فتشجعت وسألتني إن كان زواجي منها لتلبية حاجة مؤقتة وها قد صُدع الشرخ الذي أحدثه الاعتزال بي فلم تعد هناك حاجة إليها.

ذُهلتُ من تفكيرها.. تركتها وحيدة في غرفتنا بذلك المنزل الكبير.

فلتنزل عليه صاعقة من السماء..

الطريف أن أمي قابلتني في اليوم ذاته وهنأتني بالخبر السار. فكرتُ في العودة ل "نور" بعد سماعي لهذا النبأ فهو أوان ملائم لمصارحتها بمخاوفي.

لولا الوعكة الصحية التي تعرض لها سيادة اللواء بعد ذلك لغادرت في الحال ولكنها أبت إلا أن تلقنني درسًا أخر!

اعتادت مناداتهم (أبي وأمي).. هذه الحمقاء ظلت بجانبه حتى استرد عافيته وعاد يساعد الوزير من جديد. كانت تظن أن بقاءنا معهم في المنزل سيعوضها عن رحيل والديها وشعورها بمرارة اليتم.

أهي الحمقاء أم أنا؟

أخبرتها بتحفظاتهم واعتراضاتهم السابقة عليها غير مكترث لما قد يسببه ذلك من ألم وإهانة..

ليس عدلًا أن تستمر حياتهم بهذه الصورة! يستمر نجاح كل منهم في طريقه ويكون هذا مصيري؟

بدأت شكوى "نور" من الفجوة التي اتسعت بيننا..

اختلاف الميول كلّفنا الكثير!

أتذكر ذلك اليوم.. عدتُ فيه من الجيم ووجدتها تحاول حفظ أسماء اللاعبين وعدد نقاط فريقنا في الدوري كي تجد ردودًا مناسبة على أسئلتي. الليلة ذاتها التي دفعني فيها شيطاني للاعتراف بندمي على الزواج في هذه السن المبكرة والتقييد الإجباري وأني لم أكن مستعدًا لهول المفاجأة التي ألقتها أمي.

أطالت النظر إليّ.. بدا كأنها أصيبت بشلل تام. لم تقو على تحريك شفتيها لتعبر فقط مددتُ يدي فدفعتني بعصبية وقضت الليل في حمام الغرفة..

هل أخبرها الآن أني أفكر في الاستعانة بأحد الأطباء النفسيين كي أقص عليه ما حدث منذ نعومة أظافري عله يقدم لي حلًا وتكون محاولة لإثبات جديتي؟

هل يشفع صدقي ويمكنها من نسيان وتجاوز ما حدث؟ لا أملك لومها إن رفضت الأمر برمته. كيف لا وقد أخبرتني حين حاولت الاعتذار قبلًا أن الغاضب يعود والمدرك لا يعود. بدا لي أنها عزمت أمرها.

-قولي أي حاجة.!

تنظر إليّ بعيون انتهكها البكاء ونهشتها الصدمة وتتنهد لتطلق زفرة حارة تشارك في تأديبي.

-أنا بوعدك يا "نور". ..

تطالبني بعدم إكمال العبارة! لا شك أنها سئمت من أكاذيبي وهي محقة.. إجابتي القاسية تسببت لها في ذلك وأكثر.

لم أجد بدًا من تشغيل محرك السيارة والاستعداد للتحرك.

يندفع صراخ الجماهير في أحد المقاهي المجاورة مما يثير فزعها.. تطلب مني التوقف! تمسك ببطنها تشرع في التقيؤ وتظهر علامات الألم الشديد على وجهها.

القلق يلتهمني إن كانت بخير أم لا.. أسألها إن كنا في حاجة للذهاب لمستشفى.

-هبقى أسأل ماما لما نرجع.

تصمم على ذكر هذه الكلمة البغيضة.. أخرج هاتفي كي أتصل بها بدلًا من الانتظار حتى نعود ربما تجد وقتًا كافيًا لتجيب.

أعطي الهاتف لـ "نور" استجابًة لطلبها. تنهي المكالمة بوهن يؤكد صعوبة حملها ودناءة ما قمت به.

-اسمعيني.. والله العظيم هم السبب، أنا أكتر واحد بيحلم يكون أب.. كنت بشوف صحابي بيجيبوا ولادهم التمرين بس أنا خايف، مش منك! أنتِ هتكوني أجمل وأطيب أم في الدنيا.

تقاطعني من جديد كأنها اكتفت..

أحاول مجددًا أن أوضح ما أقصده. أطمع في فرصة قد تمّن بها عليّ بدلًا من التخلي عني في منتصف الطريق كما اعتاد والديَ أن يفعلا ولم يرق قلبهما ولو لمرة.

# أبو سنة..

-التدخين ممنوع يا أستاذ.

يتدخل "باسم" مسرعًا للرد على المتطوعة التي نبهتني..

-"نادين" ده الأستاذ "سليمان" مش عارفاه؟

أسرع بإطفاء السيجارة والهرب من مقصورة الإعلاميين قبل أن يسمعني "باسم" ما تركتُ القناة خصيصًا للابتعاد عنه.

اختياري للجلوس بجانبه لم يأت إلا بعد مصارحته لي منذ أيام عن اشتياقه لطفلته التي تأثرت بقرار انفصاله.. كدتُ أعنفه على تقصيره في إعداد أسئلة الحلقة لولا ما قاله عن ذلك الألم في صدره ومدى حنينه لرؤية صغيرته.

شككتُ بالطبع أن هذه الملامح القاسية التي ترتسم على وجهه تخفي هذا الفيض من المشاعر وتأملت الدمعة التي طافت بعينه على استحياء قبل أن يسارع بوأدها مردداً أن الانفصال كان الخيار الأوحد..

لايزال المركز الإعلامي مزدحمًا!

دقائق ويبدأ الشوط الثاني ليهرعوا إلى أماكنهم في المقصورة وتخل القاعة من الجميع باستثناء شباب المتطوعين الذين يعدونها هدنة مثالية لتناول الوجبات واستراق لحظات من الراحة.

أيعلم هؤلاء أنهم السبب في زيارة "أيمن" وفي تهديده الصريح لي..

-لا ريحتك فاحت من النسوان زي اللي قبلك ولا اللعبة كبرت منك.. جاي قلبك يخف دلوقتي تبوظ كل حاجة.

كنتُ أعلم أن أي محاولة لشرح مقاصدي ما هي إلا وقت ضائع فطالبته بمهلة وافق على منحي إياها متعجبًا..

لن يفهم!

لا تستحق تلك اللمعة في عيونهم منا ذلك..

ينطلق شوط المباراة الثاني وتتحقق أمنيتي بمغادرة الجميع ليكفلوا لي بعض الهدوء الذي أفتقده. يأتيني صوت بكاء طفل والتفاف ثلاث فتيات حوله.

يستخدم هذه الجملة ليجيب على جميع الأسئلة التي نطرحها عليه:

-اسمي "عادل" عندي 9 سنين.. جاي مع الكابتن "أبو سنة" مركز شباب حلوان.

لا تسعفه ذاكرته الخائفة ويحول اضطرابه دون مساعدتنا بأي رقم هاتف يمكننا من الوصول لهذا المدعو "أبو سنة" أو لأحد أقاربه.

تبدأ واحدة منهن في البكاء بعد أن رقّ قلبها له. يخبرني الحمقى حتمية انتظارنا لفاعليات الشوط الثاني وربما الاحتفال بعد المباراة النهائية وتتويج الفائز ليعلنوا بعد ذلك عن تواجد الطفل في المركز الإعلامي لينجح ذووه في الوصول إليه.

يتسبب هدوئهم ونبرتهم الهادئة تلك في إثارة حفيظتي. يفسر "باسم" أنهم معتادون على هذه المواقف وينضم إلى محاولاتي في طمأنة الطفل.

أنظر لذلك الخوف اللعين في عينيه ويأبي قلبي الاستماع لاقتراحات من حولي بانتظار نهاية اللقاء والمكوث معه في الاستاد فبالتأكيد سيقومون بالبحث عنه ولو لم تنجح هذه المبادرات فمن الممكن الذهاب في صباح الغد لمركز الشباب في حلوان..

أحمل "عادل" على كتفي.. أشرح للأمن الواقف بين منطقة الإعلاميين ومدرجات الدرجة الثانية حكايته كي يسمحوا لي بالمرور.

أشاركه في التفتيش عن رفاقه. نتفحص آلاف الأوجه المتواجدة.. أتحمل السباب المنطلق من أفواههم والشرر المتطاير من عيونهم مصحوبًا بالرغبة في طرحي أرضًا عقاب رادع على حجبي الرؤية..

حدة المباراة تزداد!

يبدو أنني كنت مخطئًا حين فكرت في الذهاب لمدرجات الدرجة الثالثة.. ظننته المكان الطبيعي لتواجد رحلة مركز الشباب.

أتوقف للحظات بعدما لالتقاط أنفاسي.. إما أنه السهر أو هي السجائر التي تدفعني للاستناد الآن على الحائط لا أقوى على الحراك. حبات العرق تنهمر على وجهي بغزارة تنضم اليها اهتزازات الهاتف في جيبي ليشكلا سويًا ثنائيًا مثاليًا لإزعاجي..

فقط عيناه هي ما تدفعني للبحث من جديد ودفع الكلل الذي أصابني!

المنتخب الإيفواري يدرك هدف التعادل، توقيت حرج وقاتل يُعقد الأمور ويقلل من فرصنا في اقتناص اللقب، أشعر أن سكون الجماهير وصدمتهم اللحظية عقب هذا الهدف سيؤتي ثماره..

-تقريبًا دول صحابي.

أهرول إلى المكان الذي أشار إليه وهو يصرخ على مدربه بصوتٍ عال كي يلتفت إليه.. أحتضنه بفرح يفوق ما يشعر به الطفل..

-كابتن "أبو سنة".. أخيرًا.

لا أملك سوى مناشدة هذه القاطرة البشرية التي تُدعى "أبو سنة" بمزيد من الاهتمام بالأطفال وأحيي "عادل" بحرارة وأجلس بجانبهم أفكر في حلمي الذي تبخر ببضع دقائق هادئة وكأني أطمح بما ليس لي!

# شريف

ترتفع صيحاتهم من جديد..

لا بد أننا قد نجحنا في إحراز هدف ثان..

أصواتهم تعلو مرة أخرى لتبرهن أن الحكم قد أطلق صافرته معلنًا فوز منتخبنا القومي فهذه هي طريقتهم في الاحتفال لم تتغير طيلة الأسبوعين الماضيين.

استيقظ "شريف" من حماس رواد المقهى الزائد. أشعر بخطواته المتثاقلة يتوجه لدورة المياه أنتفض لأطمئن أنه على ما يرام وأن كابوسًا ما لم يشاركه تلك الدقائق التي ينامها بعد جهد مضن..

يعود للغرفة مجددًا.

أستأذن قبل دخولي لأمنحه وقتًا كافيًا يتأكد به من إزالة آثار البكاء.. لم أعد في حاجة إلى ذلك! ما رأيته بعد عودته من العزاء سيظل محفورًا في ذاكرتي.

كيف آلت الأمور إلى هذا الحد.. هذا ما أعجز عن تفسيره..

اتصلتُ به عدة مرات لأجد هاتفه غير متاح. أصبت بقلق بالغ حتى صادفتني صورته في المقابر يشارك في دفن الجثمان.

نبهته بعد عودته أنه لم يتناول شيئًا من الصباح بل انه كاد يسقط فور دخوله. ضغطتُ على يده بقوة كان في أمس الحاجة لها! حاولتُ القيام لإحضار بعض الطعام فأشار لي أن أظل بجانبه.. رجاني بعينيه قبل أن يشرع في بكاء

مرير ونحيب تجاوز النصف ساعة، تحامل كي يستطيع الوقوف. لم يستجب جسده المنهك لمحاولاته!

استسلم للنوم على الكرسي دون تبديل ملابسه أو خلع حذائه.. لم يستيقظ إلا في صباح اليوم التالي. ظللتُ بجانبه طيلة هذه الليلة أشد على يديه مع كل رجفة قاسية تحاول النيل منه.

نظر إليّ بامتنان فور استيقاظه.. توسلتُ إليه كي يتناول أي شيء يمنحه طاقة للبوح حتى فاستجاب لرغبتي فقط كي يقو على الكشف عما بداخله..

"هيثم" الله يرحمه.. الوحدة.. الوفاة.. الصدمة. بعض المنافقين الذين يعرفهم جيدًا.. سعادته بقراره الأخير وتوقيته المناسب. خجله من التفكير في العودة رغم كل ما حدث. إرغامه لي على التقدم بالاستقالة بعد شعوره بالغيرة والتخبط".

انقضى أسبوعان ولازالت إجاباته كما هي لم تتغير! اقترحتُ الاستعانة بطبيب نفسي ولم أشعر بترحاب تجاه الأمر فلم أشأ التسبب في ألم زائد..

-تحب تاكل حاجة؟

السؤال المقيت الذي أضطر للبدء به ككل مرة وكأنّ الحاجة للطعام هي ما سيكفل لي تجربة جديدة لتهدئته.. يعقبه محاولات مكثفة أقواها كان رحلة العمرة، تذكرتُ ما قالته أمي بعد صدمتي من رحيل أبي عن حزننا الذي يصغر بمرور الأيام وكلانا يعرف إلى الآن أنها لم تكن على حق!

# الأنافورا

أكد لي "وليد" أن الأمور قد حُسمت.

رآه في العزاء وتيقن باستحالة عودته لذا من الأفضل نسيان الأمر برمته!

أخبرتُ شقيقتي في "كندا" عن بدئي إجراءات التحضير للسفر.. سأستغرق وقتًا في التأقلم على هذه الحياة بنمطها المختلف والعودة للفراغ من جديد.

ترددتُ أثناء القيادة..

فكرتُ في التوقف والمكوث هنا بضعة أيام بدلًا من إكمال الطريق للساحل.. لا أعلم إن كان بإمكاني ترتيب الأمر بغير موعد مسبق ولكني سأحاول. أفكر في حاجتي لهذا المكان!

أتيتُ إلى هنا قبلًا بصحبة الكنيسة وعزمتُ أمري على ضرورة الحضور مرة كل شهر على أقل تقدير وإن نكثتُ وعدي بعد ذلك.

(الأنافورا) لها سحر خاص في صلاة النوم تحديدًا.. عندما يضاء الطريق بالشموع ونسير معًا كأننا نرتفع بالفعل للسماء. أحلم من الآن بالسكينة التي أشعر بها هنا وأشك بتواجدها في أي مكان آخر.

بيوت الخلوة كانت على شكل علامات استفهام أو هذا ما أتذكره منذ 2011..

أفكر في إقناع المسئولين أني سأمكث ليوم واحد فقط لتوفير مكان لي ونجحت أخيرًا.

توجهتُ لمزرعة أكاسيا ولكن عليّ التحدث مع أبونا أولًا لأخبره عن الحوار الأخير الذي دار بين ثلاثتنا وانسحبت بعد شعوري بالحرج.

حادثني "وليد" بعدها ليوضح لي مقصد "شريف" فتظاهرتُ بعدم الاهتمام وإن راودني فضول حقيقي لمعرفة السبب فتدخلات "طارق" وحدها ليست كافية.

هذه الفتاة التي تزوجها؟ أُثنى "وليد" عليها واعتبره محظوظًا وظلت حيرتي هي المتفوقة على سخطي حتى!

هل هي شجاعة تلك التي تحلى بها؟

لو كان ما يقوم به حرامًا وفقًا لمعتقداته فلا شك أنها جرأة تُحسب له وسيمر على إثرها بأعراض انسحاب كمن يبتعد عن الإدمان أو أشد..

سأفتقد أيامنا في الاستوديو.. تحضيراتنا لكل حفل. كلمة شكر خاص ل "ديسقورص ألبير" التي كانت تختم كل كليب. مكالمات الصحفيين وغيرها الكثير.. أتساءل إن كان قويًا بما يكفي ليتغلب على حنينه ويواجه اشتياقه لهذه التفاصيل.

نجح مكتب "وليد" في التعاقد مع فنان آخر بعد أسبوعين على ما أتذكر حاول إقناعه بي وإن واجه صعوبة في نطق اسمي بطريقة صحيحة فاعتذر بحزم.

لم يستمر معه "وليد" كثيرًا واتجه لأحد مطربي المهرجانات ليؤكد صحة نظريتي (نموذج "شريف" لن يتكرر).

# وما أبرئ نفسي..

"سليمان" لا يرد..

أعتقد أننا ضللنا الطريق!

أخشى على "ملك" إن أوقفتُ السيارة وتركتها في هذا المكان لسؤال الناس أين توجد هذه الدار.

توقفتُ عند أحد المقاهي.. أشار إليّ القهوجي المسن بإصبعه إلى المبنى المقابل.

-الدور السابع يا بيه.. دار الجنة للأيتام وأنا محسوبك "خليفة" لو احتجت حاجة.

أصعد برفقة "ملك" وعلامات الفرح تنير وجهها.. ما الجديد؟ هي كلمة السر دومًا. لا أعلم لو لم تكن بجانبي لكيف مرت تلك الفترة العصيبة.

أخبرتها بسعادة بالغة أني ولأول مرة غير مكترث بذكريات التحضير لحفل العام الجديد!

انقضى الوقت سريعًا مع الملائكة الصغار.. انتهينا من إجراءات التكفل بطفلين كصدقة جارية لـ "هيثم" رحمه الله ولأمواتنا جميعًا علَ الله يلحقنا بهم على خير.

لم أنس إرسال الرسالة التي أطمئن بها "سليمان" أننا نجحنا في الوصول للدار المقصودة وأشكره لترشيحها لنا واختياره المثالي لهذه المنطقة لمساعدة سكانها.

أفكر مجددًا في الهدية المناسبة.. لم يرق لي اقتراح "ملك" بإحضار ملابس للطفل القادم فمن المؤكد أنهم لن يغفلوا عن هذا الأمر، هدأت الخلافات بينهما أخيرًا!

تدخل "طارق" في محاولة لإصلاح الأمور واستجابت "نور" لنصائحه وكذلك فعل "أحمد" وها قد اقتربت عودتهم من رحلة أوروبا دون وصولي للهدية المناسبة..

تبتسم "ملك" للأطفال وتعدهم بزيارات متكررة.. يحاولون شكرها وتأبي كلماتهم الصغيرة إتمام المهمة.. مثلي تمامًا.

****صوت إشعار رسالة على الواتس آب..**

تفّهم "شريف" اعتذاري لانشغالي وأخبرني عن أنه نجح في الوصول للدار بمساعدة أحد العمال في المقهى المقابل.

لا شك أنه "خليفة".

انقضت مدة لم أستطع فيها الذهاب إليه..

الصورة التي أرسلها لي "شريف" وهو يلاعب الأطفال من أجمل ما رأت عيني!

تنطق عيونهم بالكثير.. لا نحتاج أن ندقق في الصورة كي نرى أيديهم التي تتشبث بيد الزائر، تضغط عليها وتأبى أن تتركها!

الجمعة الأولى من إبريل كانت مهمة للغاية بالنسبة لنا. حدث يفوق أيام الأعياد وسعادتنا بالملابس الجديدة..

كنتُ أتشبث بيد الزوار أرجوهم ألا يرحلوا!

تتعجب المشرفات من تجاهلي التام لكافة الألعاب التي يحضرونها وسعادتي المتمثلة فقط في حضور أشخاص لن ألتق بهم مجددًا.

كنتُ في التاسعة من عمري عندما أدركت هذا المعنى.. قساوته تفوق مرارة اليتم والنسب المجهول!

وعدني البعض بتكرار الحضور مرة كل أسبوع ويبدو أن الظروف لم تكن في صالحهم، ظللت مستيقظًا في انتظار وفائهم بالعهد، تؤلمني رقبتي من استخدامها دون كلل للمراقبة من النافذة في انتظار أن يفوا بما قالوا..

فكرتُ في إحضار أحد الكراسي فالوقوف عليه سيريح رقبتي المتعبة ويسهل من عملية المراقبة.

كدتُ أقع لولا ستر الله.

تعلمتُ الدرس الأهم في حياتي.. أهم من تلك النصائح التي أخبرتني بها مس نادية في يومي الأخير بالدار واستعدادي للالتحاق بالجامعة.

همستُ في قرارة نفسي (لن أدع غيري يمر بهذا الشعور! لن أتسبب في أمل مماثل).

رغبة "أيمن الشاذلي" في ضخ الدماء الجديدة للقناة لتحفيز بعض الكروش المتهدلة بها وتدريب هؤلاء المتطوعين من لجنة الإعلام بعد أن أثبتوا مهارة في بطولة الكبار وبرهنوا عليها من جديد في بطولة نوفمبر الماضي خالفت قراري..

تعلقهم بأمل زائف.. هذا ما فكرتُ فيه!

وعد المسئول لهم بتوفير فرص العمل للمجتهدين. ذقتُ هذه المرارة قبلًا حتي اكتفيت. لعبة سخيفة سأبرئ نفسي من الاشتراك بها.

لن تتلطخ يدي بالعبث بعذرية أحلامهم بهذا الشكل وليكن ما يكون..

انتهبتُ على صوت "نادين":

-الاسكربت جاهز يا مستر.. كتبته أنا وريم وسيف.

تبدو مختلفة بهذه الملابس المثيرة عن نظيرتها التي منحتها إياها اللجنة المنظمة في البطولة السابقة.

تقبلتُ الاسكربت وأنا أشكرها.. تمامًا كما فعل "أيمن" عقب اعتذاري واعترافي بتفكيري الخاطئ كليًا برفض فكرته الرائعة.

اقتراح عبقري سيكفل لنا روح كنا نحتاجها بالفعل داخل أورقة القناة التي أتولى رئاسة تحرير برامجها.

**تمت بحمد الله**

# رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.